الطفولة والسياسات الإعلامية في لبنان

نهوند القادري عيسى

«تجمع الباحثات اللبنانيات»

الطـــــــفولة والسياسات الإعلامية في لبـــــــــنان

نهوند القادري عيسى

مساعدات باحثات : تغريد السميري - ملكة خانات

دراسة انجزت لصالح

«تجمع الباحثات اللبنانيات»

Bahithat

i-/ المنطلقات المفاهيمية للدراسة

أمام موضوع الإعلام والطفولة، يتساءل الباحث فيما يبحث؟هل يبحث عن السياسات الإعلامية الخاصة بالطفولة، أم يبحث في السياسات الإعلامية المعتمدة للتعامل معها؟ فالبحث «عن» يحمل افتراضاً بأن السياسات الإعلامية الخاصة بالطفل، بمعنى السياسات المستندة إلى رؤية تحدد المعايير والأخلاقيات والسلوكات الواجب اعتمادها لدى تناول أي موضوع خاص بالطفل،غير معلنة أو محاطة بالغموض والالتباس. في حين أن البحث «في» يحمل افتراضاً بأن هناك سياسات إعلامية حول الطفولة، يمكن لأي باحث أن يستنطق القيمين على وسائل الإعلام والعاملين لديهم بصددها، أو أن يستشف معاييرها وأسسها، والمنطق الذي يحكمها عبر تحليل وقياس الإنتاجات والرسائل الإعلامية المنشورة.

كذلك ينقسم الكلام حول السياسات الإعلامية الخاصة بالطفولة إلى شقين: الأول يتعلق بمعالجة الإعلام لما يجري من أحداث ووقائع. إذ تعكس طرق المعالجة هذه رؤية كل وسيلة إعلامية لموضوع الطفولة، بمعزل عما إذا كانت هذه الرؤية معدة سلفاً أومرتبطة بظرف معين. ويتم ذلك من خلال تتبع آليات عمل الوسائل الإعلامية، وإبراز كيفية إعادة بنائها لهذه الوقائع وترميزها لها من خلال إعطائها شكلاً معيناً، وانتقائها لجوانب دون غيرها، ووضعها في سياقاتها، والحيز المتاح لها، ونوع الأعمال الصحفية المعتمدة، ومعرفة المصادر التي تم اللجوء إليها..الخ . ويتعلق الشق الثاني بالثقافة التي يبثها الإعلام للأطفال من خلال تخصيص برامج وزوايا خاصة بهم أو من خلال أخذهم في الحسبان أثناء البرمجة أو إعداد الحلقات.

وتجدر الإشارة إلى أن البحث في هذا الموضوع يتوقف على نوع المقاربات

المعتمدة في المعالجة. على سبيل المثال، في حال كانت المقاربات خطية، نجد أن الباحثين يضعون الطفولة في خانة الثبات والبداهة فيتم إقرانها بشكل نهائي بالرعاية والبراءة والولاية. كذلك نلاحظ أنهم ينظرون إلى الإعلام من منظور كيف يجب أن يكون، ويغفلون ما هو كائن، ولا يهتمون بانتاج معانٍ متجددة للممارسات الإعلامية المتحولة، أي ينظرون إلى هذه الممارسات على أنها ثابتة لا تتأثر بالسياقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها. ذلك يعني أن البحوث التي تعتمد هذا النوع من المقاربات لا تغوص في عمق المفاهيم المتحولة التي ترعى آليات العمل الإعلامي ولا المفاهيم المتحولة العائدة لموضوع الطفولة. وكان من نتائج ذلك أن راوحت العديد من البحوث المعتمدة لتلك المقاربات في مكانها،ولم تتمكن من تثمير نتائج أعمالها الميدانية بما ينعكس إيجاباً على طرق المعالجة الإعلامية التي تصب في خدمة قضايا الطفولة. واكتفى بعضها باعتبار إتفاقية حقوق الطفل على أنها المعيار الوحيد والنهائي لقياس المؤشرات الكمية، وهذا ما يثبت أن هؤلاء ينظرون إلى الإتفاقية وكأنها هي الهدف بعينه.

في حين أنه من المنظور البنائي، الرسائل الإعلامية التي تصلنا ليست حصراً من عمل الصحافيين لوحدهم، ولا هي بمعزل عن الظروف المحيطة بعملهم، والضغوط التي تمارس عليهم. هذا عدا عن صعوبة تقييم الرسائل الاعلامية والحكم على إيجابيتها وسلبيتها بالمطلق، لكونها غالباً ما تحمل في طياتها الحلول والمشاكل، الداء والدواء على حد سواء. أيضاً تبعاً لهذا المنظور، لا توجد قضايا الطفولة المصنفة بامتياز قضايا عمومية مسبقاً، ولا تبرز تلقائياً مجرد الإيمان بها والتسليم ببداهتها، ولا بمجرد معرفة الخبراء بها موضوعياً، إنما يسهم الإعلام في بنائها إلى جانب أطراف عديدة؛ بدءاً من أولئك الذين يعملون على أشكلتها، مروراً بمن يتعهدها ويعمل على التعبئة من أجلها، وانتهاءً بمن يعمل على تعميمها فيطرحها للنقاش في حقل الفضاء العمومي،بغية إيصالها إلى صناع القرار. مع الإشارة إلى أن هذه العملية البنائية لا تقوم باستمرار على التكافل والتضامن،إنما تحكمها موازين قوى،ويتخللها في كثير من الأحيان صراعات ومناورات. على سبيل المثال، ارتدى النقاش حول موضوع التلوث الناتج من المصانع أهميته بفضل ما نشره الباحثون والصحافيون والحركات البيئية والتعبوية بهذا الصدد. وهذا ما يؤكد أهمية البعد الرمزي المستند أحياناً إلى الميتولوجيا الاجتماعية، فأي حدث

كي يتحول إلى قضية عمومية هو بحاجة لأن يُحكى عنه، ليكون مقنعاً ومثيراً للانتباه. فالحدث الاجتماعي يبنى كموضوع إشكالي من قبل من يتعهده ويعمل على روايته بطريقة حاذقة، مستدرجاً فاعلين آخرين للاهتمام به. ما يدفع الميديا لأن تُحوِّله الى موضوع للنقاش، بغية استدراج فاعلين سياسيين لتوليه.[1]

ذلك يعني أن بناء القضايا العمومية يمر بعدة مراحل: تبدأ بتعيين القضية وإعطائها هوية معينة(Identifier)، من قبل متعهدين يجدون مشكلة تحيط بوضع معين، فيخضعونها للنقد، للنقاش، ومن ثم للفعل أو للتحرك لمعالجتها. تليها مرحلة تأطير القضية (cadrer)، أي العمل على أشكلتها والتعبير عنها عبر سردها وروايتها. ومن ثم العمل على تبريرها (justifier) أي الاهتمام ببناء الحجج الوازنة وذات المصداقية، والتفكير في كيفية تبيان خطورتها، وكيفية تلقي المجتمع لها. ليأتي العمل لاحقاً على إشهار القضية وتعميمها (populariser)، أي إدخالها في حقل الفضاء العمومي، الذي تعد وسائل الاعلام والانترنت والشبكات الاجتماعية من أبرز منتدياته، وقد يترافق ذلك مع تحركات وتظاهرات بهدف أعلمتها أي جذب الميديا إليها. وتأتي المرحلة الأخيرة المتمثلة بوضع القضية على أجندا السياسيات العمومية ، كمثل سن قانون أو إيجاد إدارة خاصة للإهتمام بها.

على المستوى المفاهيمي، وتبعاً للمقاربة البنائية،لا يتشكل مفهوم الطفولة مرة واحدة وإلى الأبد، إنه عمل بنائي يتغير في كل مرة، ويعاد بناؤه من جديد مع كل تغير. على سبيل المثال، لاقت الشكوى من ضياع الطفولة في نهاية القرن العشرين أصداء لها في المجتمع، الأسرة، المدرسة، السياسة وغالباً في الميديا. وتعاظم القلق والرعب في السنوات الأخيرة ، نتيجة اهتزاز الحقائق التقليدية حول تعريف ومكانة الطفولة. وغدا موقع الطفل في النقاشات المطروحة مزدوجاً؛ من جهة، يعتبر الأولاد مهددين أكثر فأكثر، نتيجة تضاعف أعمال العنف المرتكبة بحقهم في المدرسة وفي الأسرة، واستحضار الصحافة لقتلة الأولاد،وإبراز فضائح إهمال الأهل لأولادهم، ونتيجة تزايد الهلع الشعبي إزاء التحرش والتعديات على الأطفال. في مكان آخر، تظهر الميديا صور أخرى عن الطفولة في البلدان النامية: أطفال الشوارع في أمريكا اللاتينية، الأطفال المجندين في افريقيا، والأطفال ضحايا السياحة الجنسية في آسيا. وغدا يتم

1 Eric Neveu,(2015), Sociologie politique des problemes publics, ed. Armand Colin, Paris,p.17

تصور الأولاد على أنهم يشكلون تهديداً للمجتمع، بعدما أصبحوا أكثر فأكثر عنيفين، لا اجتماعيين، مبكرين في بلوغهم جنسياً. [٢]

وبهذا تساعد المقاربة البنائية على فهم الأدوار المتناقضة للميديا؛ من ناحية،تعد الميديا وسيطاً رئيسياً للنقاشات الراهنة حول تحوّل الطفولة، وهي بذلك تبرز المشكلة وتسهم في تعزيز مشاعر الخوف والهلع جراء هذا التحوّل. ومن ناحية ثانية، تتهم الميديا بأنها هي في أساس المشكلة، لكونها تحرِّض على اللانظام وعلى العدوانية،وتغذي المشاعر الجنسية المبكرة،وتقوّض العلاقات الاجتماعية. وعلى الرغم من اتخاذ بعض الحكومات لإجراءات رقابية وتقنية، إلاّ أنّ هذه الأخيرة تجد حالياً نفسها غير قادرة على رقابة الكم الهائل من المنتوجات الإعلامية العالمية. يضاف إلى كل ذلك أن المتغيرات الناجمة عن التطورات التكنولوجية والاتصالية المتسارعة خلخلت دورالإعلام كوسيط بين الدولة والمجتمع.

وهكذا استقطبت التفسيرات حول دور الميديا في تحوّل الطفولة الإهتمام. هناك من جهة، من أكد أنّ الطفولة، كما عرفناها، هي في طور الخفوت والاختفاء، وأن الميديا لا سيما التفلزيون هي المسؤولة الأولى. فهي التي أضعفت سلطة البالغين وجعلت الحدود بينهم وبين الأطفال ضبابية. من جهة أخرى، هناك من يجد أن استخدام الأطفال للميديا الجديدة أبعد ثقافتهم عن ثقافة أهلهم، وسبَّب تباعداً متزايداً بين الأجيال. خصوصاً وأنّ كفاءات الأولاد في التكنولوجيا الجديدة خوّلتهم للوصول إلى أشكال جديدة من الثقافة والاتصال خارج رقابة الأهل. ذلك يعني أنّ هذه التفسيرات ناجمة عن قلق عمومي إزاء التحولات الاجتماعية المرافقة للألفية الجديدة. والدليل رواج تعابير «الموت» و«النهايات»على أكثر من مستوى؛ المجتمع، الطفولة، الصراع الطبقي، الأيديولوجيا، التاريخ ...الخ واللافت أن هذه التفسيرات للعلاقة بين الطفولة والميديا تفترض ضمناً أو علناً أن مفهوم الطفولة هو بناء اجتماعي وتاريخي، وأن الثقافة، والتمثلات، بما فيها الميديا الالكترونية، تشكّل الأرضية التي أُسِّس عليها هذا البناء وتطوّر. بمعنى أنها تقارب موضوع الطفولة على أنه بناء اجتماعي، وعلى أن الطفل لا ينتمي إلى فئة طبيعية وشاملة، ولا يحدد فقط بيولوجياً، ولا يمكن تعريفة لمرة واحدة وإلى الأبد. فالطفولة ما برحت تتغير

2 David Buckingham,(2000), La mort de l.enfance- Grandir a l.age des medias, traduit de l.anglais par Christophe Jaquet(2010), Armand Colin, Paris.

اجتماعياً ثقافياً وتاريخياً، تبعاً للعصور والثقافات والمجموعات الاجتماعية.[٣]

ففي معرض ربط العلاقة بين الطفولة والميديا الجديدة، هناك من رأى أنّ الفتية خسروا حظوة الطفولة، لم يعد ممكناً الاستناد إلى الأهل الذين لديهم الجواب على كل شيء، تفوقت التجربة على التنشئة الاجتماعية وعلى وظيفتها في نقل المعارف. وغدت قوة ثقافة الطفولة تكمن في أنها تولِّد شعوراً بأنه لم يعد هناك حاجة للتعلم من البالغين وممن لديهم السلطة، وأنه أصبح بالإمكان أن يدير الأطفال وجودهم كما يحلو لهم، لقد تفوقت ثقافة النظراء على الآباء وعلى المدرسة. حتى ولو كان اتساع هامش المناورة الفردية، واستقلالية القرارات تواجههما بالمقابل صعوبة الخيار وواجب تحمل مسؤولية الوجود. أي أن العقد الرمزي الذي يربط بين الفتى والرباط الاجتماعي تغير، لم يعد المجتمع هو الذي يزوده بالأمان، فيشعره أن مكانه محفوظ بين الآخرين، بل غدا يتوجب عليه أن يجد هو مكانه من خلال تجربته التدريجية في العالم، يتوجب عليه أن يحدد سماته الخاصة للدخول في الحياة، خصوصاً وأن الفتوة هي المرحلة الصعبة للإجابة على مسألة المعنى وقيمة الوجود. وفي معرض الإضاءة على زمنية الطفولة المتحولة، يعتبر La Chance أن الوقت يُعدّ مادة أولية في بناء الذات، وأن تجزأة هذا الأخير انسحبت على المكان، لا سيما عندما يأكل كل فرد في مكان خاص، ويبحر كل ولد في فضاء الانترنت في غرفته، في وقت يقوم فيه الأهل بأعمال أخرى. وبهذا غدت زمنية الأطفال هي زمنية السرعة، الملح ،اللامحدود والإثارة. وغدا نزع التزامن أو اللاتزامن يعدّ من علامات بناء المراهقة فائقة الحداثة التي غدت تعيش لحظات التسريع ، التوقف، التمدد، الفرملة... الخ وتم النظر إلى الوقت على أنه مادة للاستقلالية، ومكون من مكونات فبركة الذات. ولأن الإنسان فائق الحداثة يتميز بعلاقته الجديدة مع نفسه، مع الآخر، مع جسده، مع مثله العليا، مع الوقت،لم تعد زمنيته تتمثل في الاندراج في زمن الآلهة، ولا الأحزاب،إنما غدت خاضعة لرغبته ومصلحته الخاصة. إنه زمن الرغبة واللحظة والإرضاء المباشر.

إذن الطفولة هي تعبير علائقي ومتغير، اعتمد في البداية مقابل عمر البلوغ. وتم ترميز التعريفات الجماعية للطفولة، التي هي حصيلة عمليات اجتماعية استدلالية، بشكل قوانين وسياسات عمومية، تجسدت في بعض الأشكال من الممارسات المؤسسية

3 David Buckingham,(2000), La mort de l.enfance- Grandir a l.age des medias, traduit de l.anglais par Christophe Jaquet(2010), Armand Colin, Paris

والاجتماعية، والتي بدورها أسهمت في إنتاج أشكال من السلوك المُقدَّر على أنه خاص بالطفولة.[4]

في ضوء ما تقدم، سوف نعتمد الخطة البحثية الآتية:

-وضع الدراسة في سياقها البحثي أي الإطلاع على عينة مما كتب من تقارير ودراسات بموضوع الإعلام والطفل في السنوات الاخيرة، بغرض معرفة تمايزاتها على مستوى مقارباتها للموضوع، مرجعياتها، إسهاماتها في طرح قضايا الطفولة وفي تطوير آليات العمل الإعلامي المرتبط بها، مرجعيتها القانونية والاخلاقية.

-المعالجة الإعلامية اللبنانية لموضوع الطفولة وقضاياها، سوف يتم تقسيمها إلى شقين:

- الشق الأول يعود للثقافة الإعلامية الموجهة للطفل.
- الشق الثاني يتعلق بالمعالجات الإعلامية لموضوعات الطفولة موزعة على عينة من نشرات الأخبار في محطات التلفزة اللبنانية وعلى عينة من الصحافة المكتوبة لفترة زمنية محددة بغية استخلاص مؤشرات كمية تمهد لتحليل معمق لنماذج من معالجات ممتدة على فترة زمنية غير محددة ،وأخرى مرتبطة بوقائع صادمة حصلت في أوقات متباعدة. وتجدر الإشارة إلى أننا نفترض أن اعتماد المنظور البنائي في تحليل المؤشرات يمكننا من تلمس دور الإعلام من ضمن أدوار لأطراف أخرى .

4 David Buckingham,op.cit.

ii-السياق البحثي للدراسة

كان لافتاً توسع دائرة الاهتمام بموضوع الإعلام والطفل في العقدين الأخيرين على مختلف المستويات. فأعدت دراسات، وتقارير وأبحاث، وعقدت مؤتمرات وورش عمل، ورفعت توصيات، وأنجزت أدلة تدريبية،وصيغت مواثيق شرف. وعلى الرغم من اختلاف المنطلقات والمقاربات لهذا الموضوع إلاّ أنه أمكن رصد النماذج الآتية:

- دراسات ميدانية بحثت في الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام لدى معالجتها لقضايا الطفل، دون إيلاء الأهمية للمنطلقات المفاهيمية وتحولاتها، ودون التوقف عند ثقل السياقات المحيطة بالعمل الإعلامي من ناحية، والطفولة من ناحية ثانية. وكان من نتائج ذلك أن خرجت هذه الدراسات بنتائج مشابهة، وبتوصيات مماثلة بغض النظر عن الاختلافات العائدة للفترة الزمنية والظروف المحيطة بالأمكنة وبالبلدان، وبالوسائل الإعلامية عينها. من هذه النماذج نتوقف عند دراستين:

- رسالة ماجستير بعنوان: «دور الصحف الفلسطينية اليومية في معالجة قضايا الطفل».[٥]أظهرت هذه الدراسة الميدانية أن الصحف استخدمت فن الخبر في عرض غالبية هذه القضايا. كذلك أظهرت ضآلة المساحة المخصصة لمعالجة هذه القضايا بنسبة ٠,٠٤٪. اتفق القائمون بالاتصال على وجود مجموعة عوامل تؤثر على معالجتهم لقضايا الطفل منها الاحتلال وإجراءاته القمعية ضدهم، والعادات الاجتماعية، ما يتطلب منهم انتقاء قضايا الطفل بما يتوافق معها. وانتهت الدراسة بأن توصي بأنسنة قضايا الطفل ومعالجة الجوانب الصحية والنفسية والدينية. وإحياء استخدام الفنون الصحفية التفسيرية والاستقصائية ومواد الرأي في معالجة قضايا الطفولة، وإنشاء معاهد متخصصة في أبحاث الطفولة والإعلام.

- دراسة ميدانية بحثت في تناول الاعلام العربي لقضايا حقوق الطفل في ست

٥ دور الصحف الفلسطينية اليومية في معالجة قضايا الطفل- دراسة ميدانية وتحليلية مقارنة ، رسالة ماجيستير - الجامعة الاسلامية غزة- كلية الآداب ، إعداد أبرار محمد علي عبد الرحمن الآغا، إشراف د. أيمن خميس أبو نقيرة ، سبتمبر ٢٠١٦ ، pdf.١١٩٨٢٨/ebookhttp://library.iugaza.edu.ps/thesis

دول عربية : تونس- الجزائر- السعودية – العراق-لبنان-مصر،[٦]فبينت أنّ قضايا حقوق الطفل حظيت باهتمام ضعيف في القنوات العربية محل الدراسة، فضلاً عن عدم تخصيص المساحة الزمنية الكافية لاستعراض تلك القضايا، ومناقشة واقع الطفل العربي وقضاياه الحيوية وطرح أبعاد المشكلات والحلول المقترحة لها. كما أغفلت غالبية البرامج إتاحة الفرصة لمشاركة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في تقديم حقوقهم ومناقشتها. وأوضحت الدراسة التراجع الواضح في مجال اهتمام المجتمع بحقوق الطفل، حيث يتم تهميش قضايا الطفل في المجتمع، خاصة في ظل غياب أجندا بقضايا حقوق الطفل، وعدم وجود سياسة إعلامية لدى المؤسسات بشأن قضايا الطفل.

وأتى في خلاصة عرض هذه الدراسة للدراسات السابقة، أنه على الرغم من أن موضوع «دور وسائل الاعلام في مجال حقوق الطفل العربي يعدّ واحداً من الموضوعات البحثية الأساسية التي حظيت باهتمام الدراسات العربية خلال العشرين عاماً الماضية، إلاّ أن هذه الدراسات غلبت عليها سمة التكرار دون اختلاف جوهري في المتغيرات التي تناولتها. وركزت غالبيتها على دور التلفزيون ثم الصحافة، وأهملت الاذاعة. كما ركزت على الأسلوب الكمي. وقدمت مقترحات للتطوير غلب عليها الطابع النظري واتسمت بالعمومية، فلم تؤد إلى تطوير حقيقي في دور الإعلام تجاه حقوق الطفل. واهتم عدد قليل منها برصد كيفية المعالجة. ولوحظ قصورها في رصد وعي الجمهور نحو حقوق الأطفال. كذلك بينت الدراسة أنّ الصحف ركّزت على الأشكال والفنون الصحفية الإخبارية أكثر من الأشكال الصحفية التفسيرية والاستقصائية. جاءت فئة الأشخاص في مقدّمة المصادر التي اعتمدت عليها الصحف تلاها مندوب الصحيفة وفي المرتبة الأخيرة فئة غير محددة. جاءت الحكومة في مقدّمة فئات الجمهور المستهدف من قبل الصحف، تلتها المجالس القومية المعنية بالطفل، ثم المدرسين ثم الأسرة ثم الجمعيات الأهلية، فالأم فالأب فالأخوة فالطفل. وجاء المسؤولون الحكوميون في مقدّمة القوى الفاعلة في المادة الصحفية، تلاها الأسرة ثم الطفل ثم المدرسين، الأم، الأب، الأطباء، الأصدقاء، الزملاء، الجيران. كذلك لحظت الدراسة ارتفاع نسبة ورود السلطة التنفيذية في المواد الصحفية. جاءت الأحداث

٦ الاعلام ومعالجة قضايا حقوق الطفل بالدول العربية -دراسة ميدانية – حقوق الطبع محفوظة للمجلس العربي للطفولة والتنمية ٢٠١٣ – مطابع جامعة الدول العربية – تقييم تناول الاعلام العربي لقضايا حقوق الطفل في ست دول عربية : تونس- الجزائر- السعودية – العراق-لبنان-مصر

والوقائع في مقدمة الأطر المرجعية التي استعانت بها صحف الدراسة بنسبة كبيرة، تلاها الآراء الشخصية والاجتهادات والدراسات ثم الأرقام والإحصائيات ثم العادات والتقاليد المجتمعية، وتلا ذلك بنسب قليلة على التوالي: قوانين الطفل أو الأسرة المحلية، مواد الاتفاقيات الدولية لحقوق الطفل- التقارير الوطنية عن حالة الأطفال- تعاليم الشرائع السماوية، التقارير الدولية عن حقوق الأطفال.

وأشارت الدراسة أنّ ٨,٣٪ من حلقات البرامج المتلفزة تناولت حقوق الأطفال. وكان على رأس أهداف المعالجة إبراز الدور الحكومي ثم التأثير على دور الأسرة . جاء اهتمام القنوات بالسلطة التنفيذية ودورها بنسبة ٦٩٪ ثم التشريعية ١١,٨٪ ثم القضائية ٦,٤٪. اهتمت القنوات خلال معالجتها بالسرد الخبري وطرح المشكلات بنسبة ٤٨,٦٪، ثم طرح حلول لانتهاكات الطفل ٣١,٨٪، ثم التركيز على جوانب الإثارة في الموضوع ١٦,١٪. ركزت القنوات على تقديم حقوق الأطفال في قالب التقارير التلفزيونية ٥٧,١٪ ثم الحوار ٤٥,٤٪ ثم الحديث المباشر ٢١,٤٪ التحقيقات المتلفزة ٥٪. تصدّر تقديم المذيعين أنفسهم للمعلومات بحقوق الطفل بنسبة ٦٤,٤٪، ثم ضيوف البرامج ٦٠,٧٪، ثم أسرة الطفل ٢٦,٨٪، الأطفال ٢٤,٣٪. تم التركيز على مرحلة ٦-٩ سنوات. جاءت الدراسات والبحوث في مقدمة الأطر المرجعية التي استعانت بها القنوات، تلاها العادات والتقاليد وقوانين الطفل والأسرة ثم التقارير الوطنية، تعاليم الشرائع السماوية، الاتفاقات الدولية. وجاء المجتمع ككل في مقدمة الفئات المستهدفة، تلاها الأسرة، فالمسؤولون الحكوميون، فالأطفال، وبنسبة ضئيلة البرلمانيون والمجتمع المدني. خلت غالبية الحلقات من وجود أي انتهاك لحقوق الطفل بنسبة ٨٠,٧٪. النسبة المتبقية عرضت صوراً لضحايا الاعتداء مع ذكر اسم الضحية كاملاً،إضافة وصم اجتماعي أو صفة سلبية، السخرية من آراء الأطفال.

- وقائع مؤتمرات وورش عمل ذات طابع محلي أو عربي عقدتها مؤسسات رسمية حكومية بغرض العمل على حماية الطفولة من ناحية، وتطوير الأداء الإعلامي من ناحية ثانية، بالعودة إلى الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الأطفال. مستندة إلى أوراق بحثية متنوعة في موضوعاتها، قدمها باحثون وأكاديميون وخبراء، عملت في كثير من الأحيان على توصيف الواقع الظاهري، بمعزل عن المساءلة المفاهيمية، وعن التعمق في الموضوعات المطروحة بالعلاقة مع السياقات المحيطة بها. وهذا ما أفضى بها إلى

توصيات تصنف في خانة ما يجب أن يكون من حيث المثال بغض النظر عن الظروف والعوامل المحيطة، وهذا ما أبقاها في موضع الثبات، رغم مرور الزمن، على سبيل المثال، نذكر نموذجين :

- مؤتمر «الإعلام والطفل في لبنان»[٧] الذي عقدته الهيئة الوطنية للطفل اللبناني بالتعاون مع المجلس الأعلى للطفولة في العاصمة اللبنانية بيروت عام ٢٠٠٤، والذي أفضى إلى لائحة طويلة من التوصيات التي لم تأخذ طريقها إلى التنفيذ،نذكر منها: التوصية بضرورة مراعاة خصائص الأطفال ومراحل نموهم اللغوي والعقلي والاجتماعي والنفسي والصحي خلال عمليات إنتاج وسائل الإعلام لبرامج خاصة بهم وإشراكهم فيها. والملاحظ أن هذه التوصية صيغت بمعزل من سياق عمل وسائل الإعلام في لبنان، وعن آليات عملها، والتنافسية التي تحكمها والقوانين التي ترعاها، وبمعزل عن بنيتها، ودرجة مأسستها وإنتاجيتها، وتأهيلها للعاملين لديها وتخصصهم في هذا المجال الخ. وأيضاً التوصية المتمثلة بالطلب من الأهالي ألاّ يستقيلوا من واجباتهم تجاه وسائل الإعلام ومراقبة البرامج ومتابعتها مع الأولاد، بغض النظر عن إمكانات الأهل التعليمية والمعيشية والوقت المتاح لديهم للجلوس مع أولادهم. والأهم توصية المؤتمرين لوسائل الإعلام لأن تضع مصلحة الطفل اللبناني فوق مصالحها التجارية. والتي تنم عن افتراض بأن وسائل الاعلام في لبنان التي بنيت على محاصصة طائفية ومذهبية وسياسية هاجسها الأول مصلحة الطفل اللبناني. عدا عن توصيات موجهة إلى أجهزة رسمية وحكومية تفتقد بالأساس إلى رؤية حول الطفولة.
- **ورشة عمل الإعلاميين لحماية الأطفال من العنف** التي عقدها كل من المجلس الأعلى للطفولة بالجمهورية اللبنانية والمجلس العربي للطفولة والتنمية « في العام ٢٠١٠ بمشاركة ٤٢ إعلامياً لبنانياً .[٨]والتي من ناحية، حملت توصيات مشابهة لتلك التي سبقتها، ومن ناحية ثانية خطت أبعد من التي سبقتها بطرح توصيات يمكن تنفيذها على الأرض، إنما بقيت تفتقد إلى أساس مفاهيمي متين يأخذ بعين الاعتبار التحولات والسياقات المحيطة

٧ أقامت الهيئةالوطنيةللطفل اللبناني بالتعاون مع المجلس الأعلى للطفولة برعاية وزير الشؤون الاجتماعية رئيس المجلس الأعلى للطفولة أسعد دياب، المؤتمرالسنوي عن الإعلام والطفل في لبنان،في بيروت وصدرت توصيات المؤتمر يوم ٢٩ أيار ٢٠٠٤.

٨ عقد الورشة كل من المجلس الأعلى للطفولة بالجمهورية اللبنانية والمجلس العربي للطفولة والتنمية «ورشةعمل الإعلاميين لحماية الأطفال من العنف»، يومي ٢١ - ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٠ بالعاصمة اللبنانية بيروت، وبدعم من برنامج الخليج العربي للتنمية «أجفند». وبمشاركة ٤٢ إعلامياً لبنانياً يمثلون مختلف الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة.

والظروف الكفيلة بإجهاض هذه الخطوات في مهدها. على سبيل المثال، نذكر من التوصيات المماثلة لتلك التي سبقتها : دعوة الإعلام إلى الالتزام بالواجبات والمسؤوليات الأخلاقية والمهنية للعمل الإعلامي؛ بما يحفظ حقوق الطفل ويستهدف المصلحة الفضلى له. أو دعوة المؤسسات اللبنانية إلى العمل على حماية الطفل من العنف وفق مقاربة شاملة، تتضافر فيها جهود كلّ المؤسسات ذات العلاقة بما في ذلك الإعلام. تعزيز دور الإعلام في مجال نشر ثقافة حقوق الطفل القانونية عبر حملات توجيهية في جميع وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب والإلكتروني. العمل على إشراك الأطفال في إعداد وبثّ البرامج الإعلامية الموجهة لحمايتهم من العنف أو التعريف بحقوقهم. تفعيل ومراجعة القوانين التي تمس الطفل والطفولة وجعلها تتوافق من المعايير الدولية لحقوق الطفل كما نصت عليها اتفاقية حقوق الطفل والاتفاقيات الأخرى الداعمة لها. أما التوصيات التي خطت أبعد من سابقاتها فإنها بقيت بعيدة من الواقع وإن اقتربت منه من حيث الشكل، على سبيل المثال: التوصية بالعمل على تكثيف ورش العمل والدورات التدريبية للإعلاميين على المستوى الوطني، وذلك لترسيخ الوعي والمعرفة بحقوق الطفل ومناهضة العنف الممارس ضده. فعلى الرغم من أهمية توعية الإعلاميين على حقوق الطفل إلاّ أن هناك جوانب عديدة يجب النظر فيها لتعطي هذه التوعية ثمارها، منها هامش الحرية المتاح لهم، حيز الوقت أو المساحة المتاحة أمامهم، حصانتهم إزاء شبكة المصالح وموازين القوى التي تتحكم بآليات العمل... الخ.

أما التوصية المتمثلة بِحثّ الإعلام اللبناني على إيلاء اهتمام متعاظم بدراسة الأمين العام للأمم المتحدة حول العنف ضد الأطفال بما يسهم في التعريف بها وتنفيذ توصياتها. فإن أهميتها لا تحجب محدودية فعاليتها، في ظلّ ما يشهده الإعلام بالعين المجردة من ارتكابات بحق الأطفال، والعجز عن اتخاذ اجراءات رادعة للمعتدين أو حمائية للأطفال. أما التوصيات القابلة للتنفيذ أو للتثمير، فإنها تبقى مشروطة بالاستمرارية والمتابعة، كمثل الدعوة إلى إدماج حقوق الطفل وحمايته ضمن مناهج التعليم العام ومقررات كليات ومعاهد الإعلام وإنشاء أقسام متخصصة في الجامعات اللبنانية، والعمل على ايجاد آليات وطنية ومجتمعية لرصد الانتهاكات الواقعة على حقوق الطفل في وسائل الإعلام كافة. والسعي إلى تأمين قاعدة بيانات إحصائية صادرة عن مؤسسات ذات صدقية لتوفير أرقام يمكن للإعلاميين الركون إليها في مهنتهم.

- **مبادرات من قبل بعض الأجهزة الحكومية أو المنظمات الدولية في العمل على سن مبادئ أخلاقية يتوجب اتباعها في إعداد التقارير الإعلامية حول الطفل، نذكر منها:**

- مبادرة اليونسيف في سن مبادىء أخلاقية ترعى العمل الصحفي، بعدما لاحظت هذه المنظمة أن عملية إعداد التقارير الإعلامية حول الأطفال واليافعين والشباب تواجهها تحديات خاصة بها. خصوصاً وأن هذه العملية،في بعض الأمثلة والحالات، تُعرّض الأطفال موضوع التقرير الإعلامي لخطر العقاب أو الوصم الاجتماعي، فإنها بادرت في العام ٢٠٠٢ إلى إصدار ما أسمته «المبادئ الأخلاقية المتَّبعة في إعداد التقارير الإعلامية حول الأطفال»، بهدف مساعدة الصحفيين أثناء كتابة تقاريرهم حول القضايا التي تمس الأطفال، بطريقة تناسب أعمارهم، ودعم النوايا الفضلى لدى المراسلين الإعلاميين الذين يراعون المبادئ الأخلاقية لعملهم، وهي: خدمة المصلحة العامة دون التفريط والتساهل بحقوق الطفل»[٩]

- مبادرة المجلس الأعلى للطفولة في لبنان في وضع شرعات أخلاقية للتعامل الإعلامي مع الطفل[١٠]:

انطلقت هذه الشرعة الصادرة عن المجلس الأعلى للطفولة، من تعريف «الطفل» بأنه كل انسان لم يتجاوز الثامنة عشرة (المادة الاولى من إتفاقية حقوق الطفل)، وأوضحت أنّ المقصود بـ«الشرعة» هو معايير الأصول الأخلاقية المهنية التي سيعتمدها الإعلاميون ووسائل الإعلام في إدراج مبادئ إتفاقية حقوق الطفل والمواثيق الدولية أثناء التعامل مع الطفل. وحددت الشرعة الأفرقاء المعنيين بتفيذها بأربع جهات هم: صانعو الرسالة الاعلامية، المؤسسات الاعلامية، المعلنون والمؤسسات الإعلانية، وأي فريق آخر قد يقوم بأي عمل ذي صفة إعلامية أو إعلانية. وارتكزت المبادىء العامة للشرعة على الإلتزام بالأخلاقيات العامة للإعلام، وعلى إحترام المواثيق الدولية المتعلقة بالطفل بصورة عامة ومطلقة. وخلصت إلى أنه في التعامل المهني مع شؤون الطفل يتوجب احترام كرامة الطفل وحقه في الخصوصية الشخصية والسرّية. والاستماع إلى آرائه وإشراكه في اتخاذ القرارات، وحماية مصالحه الفضلى، واستشارة الطفل والمسؤولين عن رعايته لما يترتب عن أي عمل إعلامي من تبعات. وحددت الشرعة التشريعات العامة؛ الأجهزة القضائية والنقابية والرسمية لتتولى

٩ الموقع الالكتروني لمنظمة اليونيسيف. https://www.unicef.org/arabic/media_٢٤٣٢٧_٤٣٤٣٢.html. تم زيارته في ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٧.

١٠ وزارة الشؤون الاجتماعية المجلس الأعلى للطفولة

متابعة المضامين الاعلامية وضبطها ومحاسبة أصحابها. وفي حال عدم توافر الآليات الكاملة لحسن التطبيق، تسعى المنظمات الأهلية المختصة بشؤون الطفل وبمساعدة تجمعات الأهل والمربين وأصحاب الاختصاص والإعلام على حثّ الحكومات على تأمين سبل المحاسبة بحسب الأنظمة والقوانين المناسبة.

- إرشادات حول كيفية التعامل مع وسائل الإعلام والتكنولوجيا الجديدة

أوصت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال بضرورة أن يتغير الكم والكيف الإعلامي الذي يتعرض له الأطفال والمراهقون بتغير أعمارهم. كذلك أوصت الآباء بمراقبة المحتوى الإعلامي الذي يتعرض له أولادهم وتقديم النصح لهم فيما يتعلق بالمحتوى الملائم لهم.[١١] ودعتهم إلى إبعاد أطفالهم عن وسائل الإعلام وهم دون السنتين من عمرهم،وبعدم ترك الأطفال وحدهم أثناء مشاهدة التلفزيون أو استخدام وسائل الإعلام الرقمي. وشددت على عدم جعل وسائل الإعلام تحلّ محلّ احتياجات أخرى مثل النوم والنشاط البدني.

دراسات أجنبية توفقت عند المفاهيم والسياقات المحيطة بالطفولة في ضوء التحولات التكنولوجية والاتصالية المتسارعة ، نذكر منها:

- كتاب دافيد بيكنغهام David Buckingham «موت الطفولة – النمو في عصر الميديا» ،[١٢] الذي ينطلق من أن مفهوم الطفولة هو بناء اجتماعي وتاريخي، وأن الثقافة ، والتمثلات – بما فيها الميديا الالكترونية- هي من إحدى الأرضيات الأساسية التي تأسس عليها هذا البناء وتطور. ويبحث في الدور المتناقض للميديا، التي جعلت الأطفال يكبرون قبل أوانهم، وأسهمت في إدخالهم مبكرا في عالم الكبار، كاشفة ارتكاباتهم وخطاياهم، ومن ناحية ثانية،أسهمت التطورات التقنية والاتصالية التي كبر الأولاد معها في جعلهم خبراء ومرجعية لأهلهم أثناء التعامل معها، وهذا أفقد فعالية رقابة أهلهم عليهم .

- كتاب ديفينا ميكز Divina Frau-Meigs «تنشئة الأطفال والتربية على الميديا».[١٣] الذي عملت مؤلفته على مزج نظرية المخاطر بالادراك الاجتماعي لفهم التنشئة الاجتماعية للميديا، في معرض تحليلها لأربع عناوين من الذعر الميديوي: العنف ، البورنو، الإعلان والأخبار. وهي تجد أن البيئة الإعلامية، مهما تم التقليل من أهميتها، تسهم في تنشئة الطفل، منافسة العائلة والمدرسة، مشكلة رهانات كبرى للمجتمع: هذه العملية

١١ رويترز، ٢٣-١٠-٢٠١٦. الموقع الالكتروني لرويترز. تمت زيارته في ٢١-١-٢٠١٧.

١٢ La mort de l.enfance- Grandir a l.age des medias, traduit de l.anglais ,(٢٠٠٠),David Buckingham Armand Colin, Paris ,(٢٠١٠)par Christophe Jaquet

١٣ ٢٠١١ ,Divina Frau-Meigs- Socialisation des jeunes et education aux medias, editions Eres

التراكمية والمتكررة تنقل للطفل معايير وقيم وسلوكات يستبطنها تدريجياً. غير أنّ قياس آثار هذه العملية كما تأثيرها على الاستخدمات أصبح صعباً جداً لأن الميديا لم تعد متغيراً مستقلاً: فهي أعادت تعريف كل ملامح حياتنا الاجتماعية والثقافية وأصبحت مفتاح فهمنا للعالم. وتشير ميكز إلى أن السكن اليومي في النظام الايكولوجي للشاشات يكتنفنا وكأنه طبيعي، وأن شعور اللاأمان الناتج عن الخطر الاجتماعي المرتبط بالميديا صادر أيضاً عن الفردنة العائدة للعصر السيبراني. فهذا الجيل الصناعي الثالث الذي ارتكز على اقتلاع واستغلال الإعلام كمادة أولية يتميز في الحقيقة بالكثير من التسريعات، منها تلك التي تقتضي بوضع مسؤولية الخيارات بين أيدي الفرد في حين أن البنى التي يتعلق بها تتعقد وتبتعد عن توجيهه. مفارقة هذا الوضع من الصعب أن يعبّر عنها بطريقة متباينة لا سيّما وأن الميديا تستفيد من الهالة الايجابية المرتبطة بالتطور والأداء والاتصال .

- كتاب جوسلان لاشنس Jocelyn Lachance «المراهقة فائقة الحداثة، العلاقة الجديدة مع الوقت »[١٤]يجد مؤلف هذا الكتاب أن الفتية في ظلّ التطورات التكنولوجية والاتصالية خسروا حظوة الطفولة، لم يعد بإمكانهم أن يجدوا لدى الأهل الجواب على كل شيء، فتولد لديهم الشعور بأنه لم يعد هناك ما يمكن تعلمه من البالغين، أصبح بإمكانهم إدارة وجودهم كما يحلو لهم، تفوقت ثقافة النظراء على الآباء وعلى المدرسة. وغدت زمنيتهم هي زمنية السرعة،الملحّ، اللامحدود، الإثارة. وغدا اللاتزامن يعدّ علامة في بناء المراهقة الفائقة الحداثة. أي أن الوقت يشكل مادة للاستقلالية ومكون من مكونات الذات الإنسانية.
- كتاب إيف سيتون Yves Citton «ايكولوجيا الانتباه»[١٥]، يتوقف الكاتب عند مشكلة الأولاد في الإصغاء، فيرد الأسباب إلى المدرسة التي لم تعد تأسر انتباههم ، وإلى أن الأطفال تم حشرهم بين التطور التكنولوجي والجمود التربوي. ويشير إلى مخاطر عزلتهم أمام الشاشات، منبهاً إلى أنّهم في العصر الحاضر غدوا يعيشون حالة من الانتباه الجزئي المتواصل.
- كتاب «جمهورية الشبكات، مخاطر ووعود للثورة الرقمية » لمجموعة مؤلفين Jean Rognetta, Julie Jammot, Frederic Tardy.[١٦]يرى مؤلفو هذا الكتاب أن السمة

١٤ Jocelyn Lachance, l.adolescence hypermoderne,le nouveau rapport au temps des jeunes, ed. Les presses de l.Universite Laval, ٢٠١١.

١٥ Yves Citton (٢٠١٤) Pour une écologie de l.attention, Paris, éd. Seuil

١٦ Jean Rognetta, Julie Jammot, Frederic Tardy (٢٠١٢), La république des reseaux –perils et promesses de la revolution numerique, Paris ,ed. Fayard.

المتمثلة بالبلوغ الجنسي السريع في مرحلة الشباب neotenique يمكن أن تضيء على العلاقة بين الانسان والتكنولوجيا:»الطفل بحاجة للانتباه، وقلق الانفصال يخففه الاتصال الثابت والمستمر . فالشباب لا يفصحون عن تفاصيل حياتهم الخاصة على شبكات التواصل كـ«تويتر» وغيرها لإعطاء قيمة لأنفسهم، إنما ليتجنبوا إغلاق أبواب غرف نومهم ، ليتجنبوا غرفهم الفارغة ، أي الفراغ الصارخ للفكر المعزول».خصوصاً وأنّ الاتصال أو الوصل بين عالمي العمل ولعبة الفيديو جعل هذين العالمين يتشابهان أكثر فأكثر. وصلة التشابه أو التقارب هذه ناجمة عن أن اللعب والعمل يقيّمان في الوسط عينه، الافتراضي والحقيقي في الوقت عينه. لذا من المفيد رؤية المرحلة الحالية بمثابة تكملة لمرحلة البلوغ السريع لدى الشباب: بفضل الرقمي غدا الناس يلعبون أكثر وأطول. وإذا كانت ألعاب الفيديو تمثل تغييراً انتروبولوجياً بهذا الحجم، لا شيء يمنع رغبة اللعب على هؤلاء الأطفال الكبار من الجيل الصاعد. هذا عدا عن أن الوصول الحرّ للإباحية غدا متاحا لمختلف الأعمار. ففي العام ٢٠١١ ، تم توقيف ٦٠ شخصاً من منتحلي الأسماء عبر العالم وبخاصة من القاصرين. ودار النقاش في فرنسا حول موضوع التناسخ مع أو ضد، والذين انتقدوا الحريات التي يحملها الانترنت انطلقوا من مخاطر الانحراف .

- كتاب Marc Dugain et Christophe Labbé «الانسان العاري، الدكتاتورية غير المرئية للرقمية»[١٧] يفترض الكاتبان أن التضامن اختفى تحت ضربات مقصلة الفردانية بلا هوادة ، بدعم من شركات «البيغ داتا» Big Data. وفي موضوع الطفولة، يشيران إلى أنه سبق ولاحظت مجموعة أساتذة عزلة التلامذة الذين غدوا، بأعداد متزايدة، يطوفون في العالم الخيالي، بعيداً عن الواقع وإشكالياته الجماعية، بهدف واحد أن يلعبوا بمفردهم. ينتج من هذه العزلة أمراض نفسية متنامية تبدأ من الهذيان إلى العصاب الهجاسي. وهذا الأخير هو آلية دفاع ضد الإحباط الذي يهدد أكثر فأكثر الفتية، دون الكلام عن الكبت النفسي المتزايد، وخسران العاطفة، ما يجعل الفرد عنيفاً، غير قادر على قياس الألم الذي يسببه العنف. وفي مكان آخر من الكتاب يلفت الكاتبان إلى أنه في لوس التوس أغنى الأمكنة في كاليفورنيا، حيث مقر «غوغل»، المدرسة التي تضم معظم التلامذة الذين يعمل أهاليهم لدى «غوغل» «آبل» «ياهو» هي غير مجهزة بالاتصالات. كذلك في قلب

١٧ Marc Dugain et Christophe Labbé ,(٢٠١٦) ,L.homme Nu , Ladictature invisible du numerique, .ed. Robert Laffonek Paris

سيليكون فالي وفي معقل «البيغ داتا»، لا يحق للأولاد في مدرسة Waldorf School of the Peninsula لمس شاشات الهاتف الذكي أو الآيباد أو الحاسوب قبل صف البريفيه. ويعقب الكاتبان بالقول إن الرؤوس المفكرة في الرقمية تعتني بحماية أولادها من عالم تحضره لأولاد الآخرين. ويأخذان مثلا على ذلك Evan Williams أحد مؤسسي «تويتر»، الذي عوضاً عن تقديم ايباد لأولاده اشترى لهم مئات الكتب. ومؤسس «آبل » Steve Jobs الذي يمنع منعاً باتاً استخدام الهاتف والايباد أثناء العشاء العائلي. ويستنتج الكاتبان أنّه عندما تصبح الألواح هي الآداة الرئيسية للتنشيط والإنعاش، فإن ذلك يزيد اضطرابات الانتباه، ويؤخر انبثاق المحادثة، ويحد من بناء مبدأ السببية، ومفهوم الوقت، ويشوّه تطور القوة المحركة الشاملة، ويضر بعملية التنشئة الاجتماعية المتكيفة. غير أن قلق الباحثين لم يمنع مؤسس «آبل»، بهاجس التسويق، من إعطاء الإيعاز لفريقه التسويقي بأن يضغط على المدارس الابتدائية ليكون في حوزة تلامذتها ايباد لتعلم القراءة والاستغناء عن الكتب.

ويتوقف الكاتبان عند ما أكدته أستاذة علم النفس في جامعة كاليفورنيا، وخبيرة في تنمية الطفل، من أن الاستخدام المتنامي للانترنت قد يضعف المقدرة على اكتساب معارف معمقة، وعلى إجراء تحليلات استدلالية، وعلى انتاج الفكر النقدي، وعلى التخيل والتأمل. مشيرين إلى أنها ليست الوحيدة التي قلقت بهذا الصدد. فانفجار التكنولوجيا الرقمية لم يغير فقط طرق العيش والاتصال، إنما قد تتلف الدماغ سريعاً وعميقاً وهذا ما نبه إليه Gary Small استاذ علم النفس التحليلي في جامعة كاليفورنيا. فالدماغ عندما يكون متعطشاً للمؤثرات يصبح فريسة سهلة، وهنا تكمن سعادة «البيغ داتا». وينبهان إلى أنّ الموجات المستمرة من الإنذارات على الهاتف تؤدي الى مثير اصطناعي، ما يسبب فقدان في الضبط والتوجيه ونوع من المخدر الرقمي. فانتباهنا المأسور بعدة أشياء، غالباً لا معنى لها، يتشتت، ولا يعود قادراً على التركيز،ولا يعود بإمكانه العودة إلى الوراء. كذلك قلقت Maryanne Wolf خبيرة علم نفس التنمية في جامعة Tufts في ماساشوستس، عندما رأت أن القراءة في العمق تضعف شيئاً فشيئاً، فإعادة قراءة بروست أو تولستوي تصبح وكأنها صراعاً ضد الذات، وتمريناً مؤلماً للدماغ الذي اعتاد التنقل . ويخلص الكاتبان للقول: إنّ الإدعاء بأن العالم يغدو مفهوماً بفضل الترابطات أو المعادلات

المحسوبة من قبل «الالغوريتم» يعني أننا لم نعد في وارد الإجابة على السؤال «لماذا»إنما نعنى فقط «بكيف»،أي نتجاهل الأسباب لنهتم فقط بالنتائج .

- كتاب Eric Neveu «سوسولوجيا القضايا العمومية» [١٨] الذي يحلّل فيه مسار تشكل القضايا العمومية، من منظور بنائي، واضعاً هذا المسار في سياق ثقافة القضايا العمومية، والتحولات الطارئة عليها، بفعل انتصار الحس العام النيوليبرالي، والتغيير في دور الدولة، ومكانة اللامساواة المادية. إذ غدا التفكير في تلك اللامساواة ينصب على أنها نتيجة لمكافآت مستحقة للفاعلين الاقتصاديين، ما أدى إلى المرور من فكرة التضامن بين المجموعات نحو نظام أخلاقي أصبح الشخص فيه مفرداً. وعلى الرغم من أن ثقافة القضايا العمومية التي أوجدت مؤسسات كبرى وكتالوغات من السياسات وهندستها تختلف من بلد لآخر، إلاّأنه طرأت متغيرات على هذه الثقافة، كمثل صعود الخطاب البراغماتي الذي يحيلنا إلى المسؤولية الفردية. وهو لا ينفي حقيقة القضايا ولا الآلام الناتجة عنها،إنما يعرض حلولاً ملموسة، في عمل مستقل من النشاط الفردي على الذات ليباشر به أفراد متنقلين . وهذا ما يتلاقى مع الخطاب الذي يعتبر أن القضايا العمومية ما هي إلا نتاج الثمرة المرة لتدخل الدولة. ولهذا انبثقت مؤخراً أجهزة للعمل على حلّ القضايا العمومية، سمتها: الفردنة، النفسنة، الإحالة على الصفات الشخصية للأفراد، أي نزع الصفات الاجتماعية عنها، والنظر إلى الفرد على أنه معزول عن النسق. وبهذا غدت العوامل النفسية تحجب المسائل الاجتماعية والسياسية. كذلك يضع الكتاب هذه العملية في سياق ظروف ومواصفات وآليات العمل الإعلامي وعلاقته بمصادره وبالأطراف الأخرى الفاعلة من ناشطين وخبراء وسياسيين، مميزاً بين أجندا الميديا وأجندا الجمهور وأجندا السياسات العمومية، آخذا بالاعتبار التباعد بين الحكومة والصحافيين والجمهور الكبير. خالصاً إلى أن منطق العديد من وسائل الإعلام يتمثل في إبراز القضايا اكثر من العمل على فهمها .

بالمحصلة، سوف نحاول قراءة السياسات الاعلامية اللبنانية تجاه الطفولة وقضاياها من المنظور البنائي المشار إليه أعلاه ، عبر الإطلاع على الموقع الذي يشغله الطفل في المشهد الإعلامي اللبناني، سواء كان على مستوى تخصيص برامج أو حلقات أو

١٨ Eric Neveu, Sociologie politique des problemes publics, ed. Armand Colin, Paris,2015

فقرات للطفل أو لقضاياه، أو على مستوى تغطية ومعالجة أحداث كان الطفل طرفاً فيها. والتي من خلال تفكيك هذه المعالجات يمكن أن نستشف مدى حضور الأطراف الفاعلة في الموضوع بالعلاقة مع السياق الاجتماعي والثقافي والسياسي والإعلامي اللبناني.

iii- المعالجة الإعلامية اللبنانية لموضوع الطفولة وقضاياها

إذا أردنا أن نستشف سياسة وسائل الإعلام في لبنان تجاه الطفولة، فإننا نجد أنفسنا أمام ضرورة تتبع المشهد الإعلامي اللبناني الموجه للطفل، سواء كان من خلال البرامج المخصصة له،أو المجلات الموجهة إليه،أم من خلال تخصيص بعض الحلقات أو الفقرات لموضوع معيّن يطال الطفولة، أو من خلال تغطية وسائل الإعلام لأحداث تحصل يكون الأطفال موضوعاً لها.

موقع الطفل من المشهد الإعلامي اللبناني

يضم المشهد السمعي البصري اللبناني إلى جانب تلفزيون لبنان ٧ محطات توزّعت محاصصة على الطوائف والقوى السياسية في لبنان، و٢٠ محطة إذاعية فئة أولى، و١٦ محطة إذاعية مصنّفة فئة ثانية. أما مشهد الإعلام المطبوع فيضمّ حالياً حوالي ١٣ جريدة يومية سياسية[١٩] وحوالي ١٠ مجلات أسبوعية سياسية، إضافة إلى مئات المجلات الفنية والمتنوعة[٢٠]. وتقول الإحصائيات أنّه يوجد في لبنان حوالي ٤٢ ترخيصاً لصحف يومية سياسية، ٣٩ أسبوعية سياسية و١٢٠٠ لمطبوعات غير سياسية[٢١]. ويعتبر رينيه نبعة «أنّ لبنان هو أول ناشر للصحافة على المستوى العربي، ذلك أنّه يؤمّن تسويق ١٣٥٨ عنواناً مختلفاً (بين يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية وسنوية) من أصل ٢٧١٤ يجري تسويقها في العالم العربي[٢٢] .بخصوص المشهد الإلكتروني، هناك العشرات من المواقع الإلكترونية الإخبارية العائدة بغالبيتها إلى القوى السياسية المتصارعة في لبنان. وعلى الرغم من حيوية هذا المشهد الإعلامي المتنوع والمتعدد والذي أمكن له بناء العديد من المهارات الإعلامية

١٩ توقفت جريدة السفير عن الصدور في مطلع العام ٢٠١٧

٢٠ على الصعيد المكتوب يعد لبنان أول ناشر للصحافة على المستوى العربي ذلك أنّه يؤمن تسويق ١٣٥٨ عنواناً مختلفاً بين صحيفة يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية وسنوية. لكن رغم هذا العدد الضخم نسبة إلى عدد سكان لبنان، إلا أنّ بلدان الخليج، لا سيّما السعودية تستقطب القسم الأكبر من سوق الإعلان. انظر بهذا الصدد: مجموعة من المؤلفين. (٢٠٠٣). الفضاء العربي. إشراف: فرانك مرميه، ترجمة: فريدريك معتوق، المعهد الفرنسي للشرق الاوسط ومكز الدراسات والابحاث عن البحر المتوسط والشرق الاوسط. سوريا: قدمس للنشر والتوزيع ص ٥٠٤.

٢١ انظر بهذا الصدد: جريدة النهار، ٢٤ تشرين الاول ١٩٩٥.

٢٢ الفضاء العربي،مرجع سبق ذكره، ص ٥٠٤.

التي تخطت في عملها السوق اللبنانية نحو السوق العربية لا سيّما الخليجية، إلا أنّه بدا يعاني من جملة عوارض تتمثّل بالآتي:

-خلل على صعيد قوننة العمل الإعلامي سواء فيما يتعلق بمنح التراخيص، والشروط التي رافقتها.

-تقادم القوانين وعدم مواكبتها للمستجدات.

-خلل في تطبيق القوانين وتحكّم الاستنسابية بها.

-محدودية سوق الإعلانات والتحوّلات الطارئة عليها بفضل التطورات التكنولوجية والإتصالية الراهنة، وتحكم الإحتكارات الكبرى بها، من ناحية والمصالح السياسية، من ناحية ثانية.

-ضعف العمل النقابي، وغياب المعايير العائدة للتقيد بأخلاقيات المهنة.

نتج عن ذلك أزمات وصراعات انعكست سلباً على البنى والمضامين الإعلامية، وعلى الجسم الإعلامي. ويمكن للباحث أن يستشف هذه العوارض، مجرد توصيف المشهدين الإعلاني والإعلامي بالعلاقة مع السياقات المحلية والقانونية اللبنانية. ففي معرض الكلام على القوانين التي تحدد شروط الاستثمار في الإعلام في لبنان تطرح العديد من العناوين التي تشير إلى جملة التباسات بقيت معلقة، منها:

-تعتري دفتر الشروط الذي وضع ليقونن الإعلام المرئي والمسموع العديد من النواقص ، إضافة إلى محاولات الالتفاف عليه، وممارسة العديد من أشكال الاستنسابية في تطبيقه.

-غدا قانون الصحافة المكتوبة الذي وضع في ستينات القرن الماضي متقادماً لا يتلاءم مع المستجدات.

-لم يتم العمل على تعديل قانون البث الفضائي منذ ما يزيد عن العشر سنوات رغم التطورات التكنولوجية والإتصالية المتسارعة.

-ما زالت الرقابة على الانترنت تحول دونها عقبات كثيرة.

-ما زال دور المجلس الوطني للإعلام المفترض به أن يسهر على حسن سير العمل الإعلامي مكبلاً بسبب تركيبته المستنسخة عن تركيبة النظام السياسي اللبناني.

-ما برحت أخلاقيات الممارسة المهنية واقعة بين مطرقة ضعف العمل النقابي وسندان الانقسامات المحلية وعدم تلاقيها على قيم مشتركة.

في الواقع، لا يلزم المراقب للمشهد الإعلامي اللّبناني عناءً كبيراً ليكتشف أنّ روحية القانون لم تتجلَ في عمل الغالبية العظمى من المؤسسات الإعلامية المرئية

والمسموعة. فهي لم تعمل على تطوير صناعة إعلامية تصب في خدمة مصلحة لبنان وأهدافه الوطنية كما ورد في الأحكام العامة من الفصل الأول في دفتر الشروط. وقليلاً ما التزمت باحترام الشخصية الإنسانية وحرية الغير وحقوقهم. وقليلاً ما عملت على تشجيع الإنتاج التلفزيوني المحلي اللبناني، من خلال الإلتزام بحجم الإنتاج المحلي المتطور المحدد في دفتر الشروط. ونادراً ما اعتمدت برمجة مدروسة تتوافق وأعمار المشاهدين. وفي أغلب الأحيان لم تلتزم بحاجات تنمية الصناعة الوطنية المتعلقة بالإنتاج الوطني للإعلام المرئي، ولا بتشجيع التنشئة الوطنية والمحافظة على السلم الاجتماعي والبنى الأسرية والأخلاق العامة، ولا بعدم بث أي موضوع أو تعليق اقتصادي من شأنه التأثير بصورة مباشرة أو غير مباشرة على سلامة الإقتصاد والنقد الوطني، أو بعدم بث أو نقل كل ما من شأنه إثارة النعرات الطائفية أو المذهبية. كذلك لم تلتزم كفاية بعدم بث أي قدح أو ذم أو تحقير أو تشهير أو كلام كاذب بحق الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين، أو بعدم الحصول على أي كسب مالي غير ناجم عن عمل مرتبط بطبيعة عملها.

موقع الطفل من قوننة الإعلام

ويكفي أن نستعرض البنود الواردة في دفتر الشروط والخاصة بالطفل. إذ ذُكر في الأحكام العامة لدفتر الشروط في النقطة التاسعة الإلتزام» بعدم بث أو نقل كل ما من شأنه إثارة النعرات الطائفية أو المذهبية أو الحض عليها أو كل ما من شأنه أن يدفع بالمجتمع وخاصة بالأولاد إلى العنف الجسدي والمعنوي والإنحراف الخلقي والإرهاب والتفرقة العنصرية أو الدينية».

كذلك ورد في الفصل الثالث المعنون: «البرامج» في النقطة السابعة من الفقرة الأولى «الحد الأدنى لساعات البث والبرامج الإلزامية» أنّ «على المؤسسة أن تخصص ١٤٦ ساعة سنوياً من أصل ساعات الحد الأدنى الإلزامي لبرامج الأطفال والناشئة والشباب موزعة بالتساوي» . أما الفقرة الثانية التي جاءت تحت عنوان «على المؤسسات الإعلامية» فهي تهتم بالشق الأخلاقي والنفسي الذي يراعي ساعات نوم الطفل و عدم تعرضه لمشاهد عنف في برامج الرسوم المتحركة:

«أ-عدم بث افلام وبرامج تتسم بالعنف والتشويق الجنسي قبل العاشرة والنصف ليلاً.

ب-عدم الترويج لهذه الأفلام والبرامج قبل الساعة التاسعة والنصف ليلاً.
ج-عدم بث برامج الرسوم المتحركة المبنية على مواضيع العنف المبالغ فيه، والذي يؤثر على مخيلة الأطفال والأحداث.
د-الإمتناع كليا عن عرض الأفلام الجنسية المصنفة.x »

وفي السياق عينه أكدت الفقرة الرابعة الخاصة بالإعلانات على «عدم بث الإعلانات للبرامج التي تحتوي العنف والتشويق الجنسي قبل التاسعة والنصف ليلاً مراعاةً لمواعيد نوم الأطفال.

كذلك الأمر بخصوص المؤسسات الإعلامية الإذاعية (فئة أولى وثانية) ،فجاء في النقطة الثانية من الفقرة الأولى من الفصل الثالث «الحد الدنى لساعات البث والبرامج الإلزامية» : أن «على المؤسسة الإذاعية أن تخصّص سنوياً للبرامج المنتجة محليا ١٠٧٦ ساعة كحد أدنى إلزامي «وأن تعطى برامج المرأة والأسرة ٢٦ ساعة و برامج الأطفال ٥٢ ساعة بث. كما ألزم في النقطة الثالثة : «المؤسسة أن تنتج مباشرة أو عبر إحدى شركات الإنتاج ما مجموعه ١٠ ساعات سنوياً على الأقل من الإنتاج الفني اللبناني» على أن تكون منها ١٣ أغنية أطفال .في السياق عينه تم تعريف برامج المرأة والأسرة في الفقرة الثامنة بالإضافة إلى برامج الأطفال، «-تخصص المؤسسة الإذاعية في برامجها فترات أو برامج للتوجه إلى الأسرة بكل ما يتعلق بشؤونها ويساعد على شدّ الأواصر بين أفرادها،وخلق مناخات التفاهم والتعاطف بينهم.-تعطى المرأة الإهتمام اللازم بما يساعدها على أداء دورها في المجتمع وتأمين سعادة الأسرة. يحظر على المؤسسة الإذاعية بث أي دعاية أو فقرات توحي أو تشجع بشكل مباشر أو غير مباشر، على العنف الجنسي أو الجسدي أو يساعد على الإنحراف أو يحطّ من شأن المرأة أو يقوّض أركان الترابط الأسري العائلي أو يتعارض مع أحكام المادة ٣٦ من قانون الإعلام المرئي والمسموع.يراعى في تقديم هذه البرامج اختيار الإختصاصيين من ذوي العلم والخبرة. بخصوص برامج الأطفال:

١-تلتزم المؤسسة الإذاعية تقديم برامج للأطفال تساعد على تكوين شخصيتهم وصقل مواهبهم وتنمية قدراتهم ومهاراتهم وتعزيز انتمائهم الوطني.
٢-يتم إعداد هذه البرامج من قبل الإختصاصيين وأصحاب الخبرة.»[٢٣]

٢٣ المصدر: الموقع الإلكتروني لوزارة الإعلام اللبنانية. على الرابط التالي :
http://www.ministryinfo.gov.lb/Main/LicensingFoundation/Bookofconditionstypicalofthenewsradio.aspx

أيضا تجدر الإشارة إلى عدم وجود قانون لبناني معتمد متخصص بالجرائم المعلوماتية بالرغم من إحالة مشروع قانون قام بتقديمه النائب بطرس حرب في العام ٢٠١٢ ولكن لم يتم تصديقه حتى الآن،في حين يتم تطبيق القوانين الوضعية كبعض قوانين العقوبات نذكر منها جرائم القدح و الذم، التخريب تزوير البطاقات الائتمانية، قانون حماية الملكية الفكرية. [٢٤]مع العلم أن الجريمة السيبرانية تعد من جرائم العصر، وأحياناً يكون الأحداث من مرتكبيها، وغالباً من ضحاياها. في هذا الصدد، رأت المحامية ألين الأسطة أن جرائم السرقة هي الأكثر شيوعاً بين الأحداث وقدّرت نسبتها حوالي ٦٠٪ ، تليها جرائم تعاطي وترويج المخدرات بنسبة ٣٠٪ من ثم التحرش الجنسي بنسبة ٥٪، و إعتبرت أن الجرائم المعلوماتية ما زالت نادرة في المحاكم اللبنانية. وإذا برزت إحداها يكون القاصر فيها ضحية وبالتالي يؤخذ قرارمن قبل محكمة الأحداث بحمايته لأنه قد يكون بذلك معرضاً للخطر بعد تحقيق يجريه المندوب الإجتماعي بالتنسيق مع قاضي الأحداث .

ولدى سؤالنا حول كيفية محاكمة القاصر إذا إرتكب جريمة معلوماتية،أشارت الأسطة إلى تطبيق قانون واحد وهو قانون الأحداث ٢٠٠٢/٤٢٢ ، أما ما يختلف بين جريمة وأخرى هو المكتب المُحاسب المعني بالنظر في الجريمة المرتكبة ، فإذا كانت تعاطي أو متاجرة يحوّل إلى مكتب مكافحة جرائم المخدرات، إذا كانت إخلال بالآداب يحوّل إلى مكتب حماية الآداب، إذا كانت جريمة معلوماتية يحوّل إلى مكتب جرائم المعلوماتية . أما عند وقوع جريمة بإستخدام مواقع التواصل الإجتماعي وتم فيها الإتفاق على توزيع مخدرات أو إبتزاز أو ما يخلل بالآداب فيتم التنسيق بين الجهازين المعنيين إذا ما كان لها تتابع على أرض الواقع. أما إذا بقيت في العالم الإفتراضي فيبقى التحقيق في مكتب الجرائم المعلوماتية فقط.من جهة التحقيق، شددت الأسطة أنه يتمتع بميزات خاصة تراعى به طفولة القاصر، وأهمها تواجد مندوب إجتماعي إلى جانبه خلال الساعات الست الأولى للتحقيق، كما تمنت الأسطة معالجة الثغرة القانونية التي لا تسمح لمحامي الدفاع بحضور جلسات التحقيق أيضاً. وحذرت الأسطة من وجود حالات كثيرة لا يحضر فيها المندوب الإجتماعي وذلك يمكن أن يعرض القاصر للضرب أحياناً . وأشارت في هذا الصدد أن جهود الجمعيات قد أثمرت بتخفيف حالات العنف أثناء التحقيق وساهمت بنشر ثقافة مراعاة حالات القاصرين

٢٤ مقابلة مع المحامية الين الأسطة المتخصصة بقضايا الطفل والمحاضرة في جامعة الحكمة الجريمة المعلوماتية .

بين القوى الأمنية، ودعت لإعطاء وظيفة التحقيق لضابط متخصص في الشؤون التربوية أو النفسية، مشددةً على حق القاصر الأجنبي بوجود مترجم يرافقه أثناء التحقيق.

في هذا المشهد المتنوع والمنفلش والمحكوم بجملة تمايزات على صعيد الحيز الذي تشغله الطفولة أو على صعيد الاهتمام الكمي والنوعي بالاطفال، في ظل سياق يتسم من ناحية، ببعض الإيجابيات، ومن ناحية ثانية، تعتريه الكثير من النواقص، لا بد من الإطلاع أولاً على ما تخصصة وسائل الاعلام من حيز للطفولة ، وثانياً على المعالجات الإعلامية لقضايا وأحداث تخص الطفولة، مقسمين الدراسة إلى شقين: شق خاص بالإعلام المتلفز وآخر يعود للإعلام المطبوع ، بالإضافة إلى شق إضافي يعرض لنماذج من معالجات إعلامية تداخلت فيها المعالجات المكتوبة بالمرئية بالإلكترونية. وقد أسقطنا الإذاعة من الدراسة لا لعدم أهميتها، إنما بالنظر إلى ضآلة الحيز المخصص للطفولة على أثير الإذاعات اللبنانية، من ناحية ، وإلى انتفاء وجود هذه الوسيلة في أذهان الأطفال، من ناحية ثانية .[٢٥]

الطفل في الإعلام المتلفز

البرامج المتلفزة المخصصة للأطفال

لدى استعراض البرامج المخصصة للأطفال حالياً في محطات التلفزة اللبنانية، يتبين مدى ضيق الحيز المعطى لها، وعدم اهتمام جميع المحطات بتخصيص برامج للأطفال، فمن أصل ٨ محطات، هناك فقط أربع محطات تخصص برامج للأطفال، مع العلم أن تلفزيون لبنان باشر في بث برنامج للأطفال في مطلع العام ٢٠١٧. وكان لافتاً تسمية كلّ من «ام تي في» و «أو تي في» و«تلي لوميير» لهذه البرامج باللغة الأجنبية، وتفردت «ال بي سي» في تخصيص برنامج للأطفال أسمته « كيف وليش»،ما يعبر عن أهمية هذه التسمية بالنسبة للأطفال، لكونها ترمز إلى الأسئلة التي يطرحونها وهم في مرحلة الانفتاح على تجارب الحياة، كذلك تميزت في تخصيص الأطفال بعروض مسرحية خلال العطلة الاسبوعية.

وتتراوح مدة عرض هذه البرامج بين ستين دقيقة إلى خمس وعشرين دقيقة . أما تواتر

٢٥. بهذا الصدد انظر: نهوند القادري عيسى، تدريب وتأهيل العاملين في برامج الاطفال الاذاعية في ضوء التطورات الفنية والتكنولوجية الحديثة -ورشة عملحول البرامج الاذاعية الموجهه للطفل تنظيم اتحاد اذاعات الدول العربية تونس في ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤ .نشرت في الارشيف المفتوح للبوابة العربية لعلوم الاعلام والاتصال .www.arabmediastudies.net

هذه البرامج فإنه يتراوح بين أن يكون على مدار أيام الأسبوع إلى اليومين في الأسبوع. كما هو وارد في الجدول رقم ١

جدول رقم ١ البرامج المخصصة للأطفال في محطات التلفزة اللّبنانية[٢٦]

المحطة	البرنامج	المقدم/ة	المعد/ة	المخرج/ة	مدة البرنامج	توقيت البث	تعريف البرنامج
MTV	Mini Studio	-دومنيكابو دبس ايلي الحلو			٣٠ دقيقة	من الثلاثاء إلى الأربعاء (١٦:٠٠) و الأحد (١٨:٠٠)	The Number 1 Kids Show is back, with better songs, crafts, characters, dances and amazing entertainment for kids and Pre-Teens
OTV	Kazadoo	ريم نعوم			٢٥ دقيقة	- من الإثنين إلى السبت (١٧:٠٠)	برنامج مخصص للأطفال ، يضم فقرات متنوعة من رسم ، ورقص اضافة الى تلقين الأطفال أغان متنوعة ، كما يحوي البرنامج فقرة لتثقيف الأولاد وفقرة تتعلق بأعياد الميلاد
Tele Lumiere	Kids Pop	جويس كيروز- مخايل ماركوس- دانيال رومية- ايلي مسلم	جويس كيروز	كريستيان نصراني	٦٠ دقيقة	من الثلاثاء إلى الخميس (١٧:٠٠)	برنامج جديد يعلم في فقراته المنوّعة: الطّبخ، الأعمال الحرفيّة، الغناء والرّقص، ونشاطات متعدّدة تملأ فراغكم وتغذّي أفكاركم
LBC	كيف وليش؟ قديم	Dede كميل خليل جورجيت زوين زينة شماس ماري حلو جورجيت فغالي نيكول كاماتو دانيال عطية فيفيان زكور	دائرة الاطفال		٤٩ دقيقة	كل يوم (٦:١٠) صباحاً	برنامج مخصص للأطفال ، يضم فقرات متنوعة من رسم،ورقص اضافة الى تلقين الأطفالأغان متنوعة،كما يحوي البرنامج فقرة لتثقيف الأولاد وفقرة تتعلق بأعياد الميلاد
LBC	مسرح الاطفال				٦٠ دقيقة	سبت- أحد (٩:٠٠)	عرض مسرحي خاص بالأطفال

وفي معرض الإطلاع على ماتبثه هذه البرامج من مضامين، نجد على سبيل المثال أن برنامج «كازادو» الذي يعرض على قناة ال«OTV»،تقديم ريم نعوم لمدة ٢٥ دقيقة طيلة أيام الأسبوع، ما عدا الأحد،الساعة الخامسة عصراً، يضم فقرات متنوعة من رسم ورقص، بالإضافة إلى تلقين الأطفال أغان متنوعة، كما يحوي البرنامج فقرات تثقيفية.

٢٦. تجدر الإشارة إلى أنّه بعد إعداد هذا الجدول استحدث تلفزيون لبنان برنامجاً للأطفال تحت عنوان : TELE KIDS يعرض كل أحد الساعة الخامسة عصراً ، بثت أول حلقة منه في ١-١- ٢٠١٧

تبدأ الحلقات بعرض من المقدمة «ريم» لأهم ما سيأتي في الحلقة التي تتضمن فقرة صحية تشاركها بها إختصاصية تغذية ، بالإضافة إلى فقرة التعرف على أسماء حيوانات وأصواتها باللغة الفرنسية، وروبورتاج مصور تثقيفي يقدم معلومات عامة، كما يتم التعرف على أغنية لها معنى إجتماعي أو خاص بمناسبة معينة من خارج البرنامج ، بالإضافة إلى فقرة «البريكولاج». في سياق الحلقة تظهر عدة أغانٍ للأطفال باللغتين الفرنسية والعربية يقوم بها فريق العمل وتتخللها مسابقات هي بمجملها مسائل حسابية باللغة الفرنسية، ويتم فصل الفقرة بفاصل موسيقي خاص بالبرنامج، ويتخلل الحلقة فاصل إعلاني أو فاصلين لمدة خمس دقائق . ونلاحظ أن المقدمة ريم تحمل اللوح الرقمي طوال الحلقة لتلتقط الكاميرا صوراً منه.[٢٧]

في حين أن برنامج «تلي كيدز» الذي بث «تلفزيون لبنان» أول حلقة منه بتاريخ ١ -١- ٢٠١٧، فإنه يبدأ بالجنريك المؤلف من رسوم متحركة لتلفزيون طائر فوق مدينة تطل على البحر،ويمرّ فوقها أسماء فريق العمل .ثم تظهر المقدمة مع مجموعة من الأطفال وشاب يحمل غيتاراً في مكان خارجي يشبه الحديقة،وتعلن بداية الحلقة التي تصفها المقدمة بالممتعة(دون أن تترك للأطفال التقدير فيما إذا كانت كذلك أم لا). ثم يعرض فاصل موسيقي خاص بالبرنامج يعرف الفقرة الأولى بعنوان «STORY TELLER»، تجلس خلالها المذيعة في حلقة دائرية مع أطفال، وتقرأ لهم أقصوصة تحمل عبرة جميلة في الهواء الطلق في جو تفاعلي بينها وبينهم. ومن أغنية مأخودة من فيلم للأطفال تتابع الحلقة لتبدأ فقرة الرقص بعد فاصل بعنوان «DANCE» تنفذها مجموعة من الفتيات الصغيرات يرقصن على إيقاع أغنيات أجنبية. ثم يتم الانتقال إلى ممثل إيمائي يدعى بيتر يقوم بمشهد تمثيلي، بعد ذلك تعلن المذيعة برفقته وبرفقة عدة أطفال الإنتقال إلى فاصل إعلاني يستمر لمدة دقيقتين، يتبع ذلك لعبة ترفيهية بمشاركة الأطفال، يليها عرض فيديوهات «مضحكة» تتضمن حوادث مؤذية، يمكن أن يقلدها الأطفال، يتبعها أغنية مأخذوذة من فيلم كرتوني للأطفال. ليتم الإعلان عن فقرة البريكولاج مسبوقاً بفاصل موسيقي يحمل اسم الفقرة، التي تتولاها «غريتا» في غرفة داخلية. يتم الانتقال مجدداً إلى فاصل إعلاني ثانٍ،يستمر نحو دقيقتين، ومن ثم العودة إلى الفقرة النهائية بعنوان

٢٧ تم رصد ٤ حلقات من الأيام العشرة الأخيرة من سنة ٢٠١٦ المرافق لعيد الميلاد حيث طغى جو العيد على الحلقات المعروضة. من٢٠-١٢-٢٠١٦ لغاية٢٦-١٢-٢٠١٦.

«BIRTHDAY» «المخصص للاحتفال بأعياد الأطفال الحاضرين في الحلقة. لينتهي البرنامج بوداع جماعي من المقدمين والأطفال مرفقاً بجنريك النهاية مع عرض لأسماء فريق العمل.

بالإجمال، يبدو هذا البرنامج وكأنه «بريكولاج» أي تجميع لمجوعة فقرات مستوحاة من مصادر مختلفة، تكثر فيه الألعاب الترفيهية،يغيب عنه الاستديو، فالتصوير يتم على الأغلب في الهواء الطلق، كذلك تغيب عنه الأغاني المنفذة من قبل فريق العمل. غير أن ميزة هذا البرنامج تكمن في حضور أطفال في حلقاته،ما يعزز أجواء التفاعل معهم .

أما برنامج «MINI STUDIO» فقد عاد بعد عودة قناة «MTV» للبث بأغنيات أفضل، وأشغال يدوية، وشخصيات، ورقصات أجمل. وهو موجه إلى الأطفال ومن هم بمرحلة ما قبل المراهقة. من ناحية الشكل، لا يشبه استديو البرنامج أي من استديوهات قناة MTV التي تنتج برامجاً بميزانيات ضخمة، فالديكور عبارة عن خلفية تشبه ورق الجدران رسم عليها بعض الصور الكرتونية، وفي الاستيديو وضعت أريكتين للمذيعين. يتناوب على تقديم البرنامج ثلاث مقدمين هم: كيكي نعيم- دومينيك أبو الدبس- ايلي الحلو. لا توجد في البرنامج شخصيات، وليس هناك من ترتيب موحد للفقرات. يستخدم المذيع\ة الاي باد أو الهاتف في بعض الأحيان لقراءة الرسائل والمعايدات وعرض الصور، ولطرح الأسئلة، وتمر عناوين الSOCIAL MEDIA باستمرار على الشاشة، ولا تنسى المذيعات تذكير الأطفال بأن «يفوتوا على صفحة البرنامج ويعملو لايك». يعتمد البرنامج على ال SPONSERS، يتجلى ذلك في فقرة «LUCKY TO BE YOUNG» وهو اسم بطاقة ممغنطة تابعة لأحد المصارف اللبنانية وأحياناً يتم الاشارة الى الفقرة باسم آخر وهو «MINI WITH BLF» وهو اسم البنك. يتخلل الفقرة الاتصال بطفلين اثنين وطرح اسئلة رياضيات عليهم (جمع وطرح وضرب وقسمة) لمدة دقيقة واحدة، ومن يجمع نقاطاً أكثر يربح من البنك البطاقة المذكورة أعلاه التي توفر له مجموعة من الحسومات في أماكن عدة بالاضافة إلى مئة دولار رصيد فيها. تبدأ الفقرة بإعلان للمصرف عبارة عن رسوم كرتونية وصوت طفل يعلق عليها بالقول: أنا لما إكبر بدي صير معلمة، وبعد الضهر بدي غني مع كيكي ب MINI STUDIO، وبدي عيش ببيت من البون بون والشوكولا ما بيخلصوا أبداً، وبدي جمع مصاري لاشتري بيت لكلبي سنوي، وسيارة حقيقية للعبتي»، بعدها نسمع صوت لشخص

بالغ يتكلم بجدية قائلاً « لكل طموحاتن نحنا حاضرين، إسالوا عن الخدمات المخصصة لولادكن بالBLF» ويظهر على الشاشة رقم الهاتف وطريقة التواصل مع المصرف».

وبهذا يحدد راعي هذه الفقرة طموحات الأطفال وكيفية تحقيقها، اللافت أن الاستيديو والشاشة أثناء بث الفقرة تعجان بلوغو المصرف على الشاشة وبستاند في الاستديو عليه اسم المصرف واللوغو الخاص به كما أن شخصيات الاعلان الكرتونية تحضر بمجسمات في الاستديو، كذلك يمر قطار أسفل الشاشة عليه لوغو البنك أيضاً. والمفاجىء أن المذيعين\ات يسألون الطفل أو الطفلة هل تريد أن نطرح عليك الأسئلة باللغة الفرنسية أم الانجليزية؟!. لا ينتهي الاعلان الترويج للمصرف هنا بل عقب انتهاء الفقرة يُبث إعلان ثانٍ، نسمع صوت طفل وبالطريقة نفسها غرافيكس متحرك على الشاشة، يقول الطفل» بكرا لما إكبر بدي صير بفريق MINI STUDIO...لا ء حكيم..واشتري السماعة لي بحبا وكون بالطيارة وابرم العالم، عمّر بيت مع جنينة كبيرة..بدي جمع مصاري بالقجة كل يوم»، ثم يطلّ صوت الشخص الناضج ليقول مجدداً « لكل طموحاتن نحنا حاضرين». بعد هذه الفقرة، يأتي دور فقرة HAPPY BIRTHDAY، يتصل معدّو البرنامج بطفل ويعيدونه على الهواء مباشرة، ويربح معهم هدية تقول المذيعة إنها من البرنامج، وفي كل المرات التي يقدم البرنامج هدايا للأطفال لا تفصح المذيعة عنها. يقضي مقدمو البرنامج وقتا طويلاً في شرح كيفية الاشتراك وكيفية تسلم الهدية، ونستمع لهم يحذرون الرابحين من أن تأجيل استلام الهدية للسنة الجديدة سيجعلهم يفقدونها. وفي كل مرة يشرحون كيف يمكن تسجيل طلبات أعياد الميلاد وتشدد المذيع «أول شي عملولنا لايك». لا نسمع مقدمي البرنامج يقدمون أي معلومة أو إرشادات. تنتهي الحلقة بأغنية عن الميلاد باللغتين الانكليزية والفرنسية يرقص على إيقاعها مذيعو البرنامج ومراهقون في كليب مصوّر.

يعدّ برنامج «كيف وليش» الذي عرضته «ال بي سي» عام ١٩٩٣ واستمر لـ٩ سنوات واحد من أبرز برامج الأطفال في التسعينيات، وقد تربى جيل كامل على هذا البرنامج وشخصياته وتعلق بمقدمته ديزيريه فرح المعروفة باسم DEDE. يعرض البرنامج حالياً على شاشة قناة«LBCI» التي اختارت إعادة عرض الحلقات القديمة بعد منتجة الفقرات الآنية كالمعيادات والرسائل التي تأتي في البريد. ويُبثّ البرنامج يومياً الساعة ٦:١٠ صباحاً. يتسم استديو البرنامج بالبساطة، والديكور عبارة عن الحي الذي تعيش فيه

الشخصيات. والانتاج الفني بسيط بما يتناسب مع مظهر معدّة ومقدّمة البرنامج ديزيريه فرح التي تضع ماكياجا بسيطاً جداً على وجهها، ونادراً ما تستخدم كلمات أجنبية خلال الحديث أو الشرح. كما أنه في فقرة الاشغال اليدوية والطبخ تستعمل أشياء يمكن أن نجدها في أي بيت. تحضر ديديه في الأغاني التي تبث باللّغات الثلاث (العربية، الانكليزية، الفرنسية). ونسمع صوتها في فقرتي الأشغال اليدوية والطبخ وهي تشرح خطوات التحضير. واللافت أن من يقرأ القصة في البرنامج هو أحد الأطفال، كما يعرف الطفل عن نفسه في فقرة الهوايات، وتصوّر الفقرة في منازل الأطفال انفسهم.

تخصيص بعض محطات التلفزة حلقات أو فقرات للأطفال

كان من الملاحظ أثناء فترة الرصد أن «ال بي سي أي» خصصت حلقتين من برنامج « أحمر بالخط العريض» للأطفال تحت عنوان « لما الولد يطلب»[٢٨] وخصصت «أو تي في» حلقة تحت عنوان « ملك وملكة جمال الأطفال ٢٠١٦» في ٩ أيلول ٢٠١٦.. اما «نيو تي في» فخصصت فقرات من حلقتين من برنامج «للنشر»لمعالجة قضية تعنيف الأهل للأولاد.

«أحمر بالخط العريض» « لما يطلبوا الولاد»

اختار مالك مكتبي أن يفتتح الموسم العاشر من برنامجه «أحمر بالخط العريض»، بحلقة يستضيف فيها الأطفال تحت عنوان «لما يطلبوا الولاد». اتسمت الحلقة بشكل عام بالعفوية الممزوجة بالمشهدية، حاول مكتبي خلالها أن يمازح الأطفال فأعطاهم الفرصة للتحدث على سجيتهم[٢٩]. فأخرج قلقهم وأمنياتهم وفرحهم ومشاعرهم، التي بقيت ممسوكة من الكبار وأصحاب الشأن، وإن كان من حيث الشكل حاول أكثر من مرة أن يصطنع إبعادهم عن كلام هؤلاء. فاعتمد أسلوباً ممسرحاً مع الأطفال، متدرجاً من بداية

٢٨ «أحمر بالخط العريض « الموسم العاشر ، تقديم مالك مكتبي وهو برنامج اجتماعي شكّل نهجاً جديداً في برامج التوك شو منطلقاً من فكرة أن القضية لا تناقش بشكل جوهري إلا إذا كانت على لسان أصحابها.تاريخ بث الحلقتين على التوالي في ٥ و١٢ تشرين الاول ٢٠١٦.

٢٩ (اعلنت إحدى الضيفات أن جدّتها تذهب دوماً إلى مكتب النائب ميشال فرعون، وأخرى كشفت أن والدها يتمرن على اليوغا ل«يروق» بس يعصب من والدتها)

الحديث معهم حتى الوصول إلى تقديم طلبهم. على سبيل المثال، أرادت الطفلة ناي أن تلتقي وزير الصحة وائل ابو فاعور. سألها مكتبي في البدء عن عمله، فتجيب «يهتم بصحة الناس ويدخلهم المستشفيات». وبحركة ممسرحة، طلب منها أن تخرج سماعة كانت مخبأة تحت كرسيها ، قائلاً لها «انا اهتممت بك الآن، هل أصبحت وزير صحة؟»! ما هو عمل أبو فاعور؟ ما هو شكله؟ طويل ؟ قصير؟ مهضوم؟ بأي جملة اشتهر؟ وكأن مكتبي بهذه الأسئلة يفترض أن هؤلاء الأطفال يعيشون في كوكب آخر، لذا بغرض إضفاء التشويق على الحلقة، بدا يبذل جهدا لأنسنة الوزير وتقريبه من عالم الطفلة التي عملياً تعي تماما من هو وما هو عمله بإجابتها أنه يهتم بصحة الناس(وهذا ما عرف عنه وما قدمه عنه الإعلام في معرض ملاحقته للأغذية الفاسدة). والدليل أن الطفلة عندما التقت به، أرادت أن تعرف فيما إذا كان «التشيبس» الذي تشتريه مطابقاً للمواصفات الصحية؟ وهل أمها محقة بالقول لأخيها أن بيضة الشوكولا غير صحية؟ ماذا عن منقوشة المدرسة ؟كما نقلت عن أصدقائها أسئلة:«إذا أكلنا أكل صحي منبطل نموت؟ ولماذا إذا اخدنا طعم الرشح منضل نرشح؟»

وبدت المفارقة التي وقع فيها مكتبي أكثر وضوحاً في سياق الحلقة؛ من ناحية، كان شديد الحرص على سجن الأطفال، الذين أتى بهم ليلعبوا الأدوار المرسومة لهم، في قمقم الطفولة المتعارف عليها تقليدياً على أنها رمز البراءة البعيدة من عالم الكبار ومن عالم السياسة ومفرداتها وكلامها (فلدى سؤاله الطفل مجد عما يعرفه عن النائب وليد جنبلاط الذي يرغب في مقابلته، أجابه: هو رئيس الحزب الاشتراكي، ويتحدث دائما عن لبنان في خطاباته مطالبا بانتخاب رئيس للجمهورية»، قاطعه قائلا « بلا شعارات الكبار». ليتحدث معه مطوّلاً عن جنبلاط وكلبه «أوسكار»، ويشاركه مراسلته عبر «توتير» ليطلب منه لقاءً خاصاً). وعمل من ناحية ثانية، على تقريب السياسيين وأصحاب السلطة من عالم الأطفال من مدخل آخر يتمثل بأبراز حميماتهم ومشاعرهم العاطفية واهتمامهم بالكلاب، وتغريداتهم على توتيتر والتي تفضي إلى تحقيق أمنيات الأطفال.

بهذه الطريقة عولجت قضايا الطفولة وكأنها مسألة طلبات شخصية يعمل على حلّها مسؤولون لديهم جوانب إنسانية بعيدة من السياسيات وتعقيداتها، بما يتناسب مع ما سمي ب«ولدنة السياسة». على سبيل المثال، (يطلب الطفل علي لقاء وزير الداخلية نهاد

المشنوق، ليطلب منه أن يكثّف وجود الحواجز على مداخل البلدات لحماية الأطفال، وحاجزاً أمام بيت صديقته في المدرسة. تتصل سيلين بمدير أبيها في العمل «عمو سمعان» لتطلب منه إعطاء والدها، الذي يعمل لأوقات متأخرة بما فيها أيام العطل، إجازة في يوم ميلادها). وينهي الحلقة بفقرة ممسرحة يبرز مكتبي نفسه فيها على أنه كتلة أحاسيس منحازة كلياً للطفولة تدين الكبار وحساباتهم، وتستدرج الدموع خدمة للكاميرا. وتجلى ذلك عندما طلب الطفل ابراهيم، أخ الجندي في الجيش اللبناني حسين عمّار المأسور لدى تنظيم «داعش» منذ سنتين، لقاء رئيس الحكومة تمام سلام، ولكن المكتب الإعلامي للرئيس اعتذر معللاً ذلك بانشغاله. وهنا علق مكتبي مكذباً المكتب الإعلامي بالقول: « ..لم يسافر الرئيس والتقى العديد من الشخصيات ولم يوافق على لقاء طفل صغير ٥ دقائق ليذكره بأخيه المأسور؟»، « لا اعرف كيف أفسر حسابات الكبار لهذا الصغير»، وحاول وهو يمسح دموع ابراهيم أن يقطف هذه اللحظة المؤثرة ويقول «اذا الرئيس ما شافك..أنا وياك فينا نذكر انو هذه القضية قضية وطنية، وأنا انقل لك عن الرئيس سلام أن قضية أخيك في قلبه». سمعنا مكتبي يردد هذه الكلمات بينما ابراهيم يوزع نظراته الحائرة في أرجاء الاستديو وهو غارق بدموعه، بعد عودته خائباً».

تضمنت الحلقة الثانية مطالب جديدة لأطفال جدد. اعتمد خلالها مكتبي على عنصري الدهشة والمفاجأة. فأطلّ متسائلاً: « هذه المخيلة الصغيرة، أديش فيها خيال؟». وإذا بأول حلقة أفكارن فاجأتني وأربكت الكبار وأدهشتكن، ففي الحلقة التانية أفكارهم، ومطالبهم ومخيلتهم، رح تاخدنا على مطرح جديد مش شيفينو من قبل لا بالواقع ولا بالتلفزيون». فبذل جهداً لافتاً في محاورة الأطفال وتخفيف التوتر عنهم أمام الكاميرا، واللعب معهم. على سبيل المثال: (لعب مع الطفلة تالين، التي تحلم بارتداء حذاء سندريلا، دور الأمير وألبسها الحذاء. ودرّب الطفل بهاء الذي أراد أن يتصل بوزير التربية الياس بو صعب على ما سيقوله له، لاعباً دور الوزير) وعلى الرغم من أنه حاور الأطفال بلغتهم» استخدم مفرداتهم- طريقتهم في الكلام، إلا أنه بقي أسير مفهوم ناقص عن الطفولة التي تعيش في العصر الحاضر في عالم مفتوح ومكشوف على عالم الكبار بكل أوجهه، مفترضاً أن هؤلاء لم يروا وزير التربية قط في حياتهم ولم يشاهدوا التلفزيون، لا سيما وأن الوزير اشتهر بتعطيل المدارس مع كل عاصفة وهذا ما يعد أمرا محبباً للأطفال. أو لم يسمعوا

بمدير عام الأمن العام في لبنان الذي كانت له اطلالات تلفزيونية عديدة في لحظات مؤثرة أثناء تحرير المخطوفين من عناصر الجيش اللبناني. لذا بغية افتعال التشويق سأل الطفل: «شو قولك كيف شكلو لبو صعب؟ طويل؟ قصير؟ شب ختيار؟ مهضوم؟ وتوجه لطفل آخر بالقول: «انت صغير كيف بتعرف انو اللواء عباس ابراهيم هو المدير العام للأمن العام». وانتهى المشهد بلقاء الطفل بهاء وزير التربية والتعليم العالي الياس بو صعب ليطلب منه طلباً غير شخصي، بناء مدارس خاصة بذوي الصعوبات التعليمية مجاناً لأن أحد أقاربه والذي يعاني منها اضطر الى ترك المدرسة. عندما سأله الوزير ماذا تريد أن تفعل عندما تكبر قال له «طبيب أطفال لأساعد المحتاجين وغير القادرين على دفع تكاليف العلاج». والتقى الطفل يوسف، الذي تبلغ إخطاراً بمغادرة البلاد من الأمن العام، اللواء ابراهيم، وشرح له قصته وحصل على وعد منه بأنه يساعده ضمن القانون، فكان له إقامة مجاملة صالحة لثلاث سنوات هو وعائلته. اللافت أنّه في نهاية التقرير نرى يوسف يقرأ قرار الأمن العام في غرفته ومن ثم يذهب ليرى أمه.

في حين أحضر مكتبي الطفل شربل (١٢ عاماً) المولود بدون ذراعين، للحديث عن هواياته، ولسؤاله «متى أدركت أنك مختلف؟»، عن هواياته، عن أصدقائه؟ عن أسمائهم؟ عن ألعابهم المفضلة؟ من كان يربح ومن كان يخسر؟ عن ممثله المفضل؟ عن جورج خبّاز؟ عن مسرحياته؟ وإذا حضر عرضاً حياً له؟ هل التقاه قبل ذلك أم لا؟. فاجأ البرنامج شربل بإحضار صديقه عيسى الذي قال عنه إنه كان «ذراعيه» فكان يُشربه الماء ويطعمه ويساعده في المدرسة، لكنه لم يره منذ سنتين. شاهدنا اللقاء المؤثر بين الطفلين وكيف يمكن أن يتقبل الأطفال غيرهم من ذوي الاحتياجات الخاصة وكيف ينسجون الصداقة معهم، وفي الختام كان الكثير من الدموع التي أفلتت من الممثل جورج خبّاز الذي حضر إلى الاستديو لمفاجأة شربل، وإذ به يتفاجأ بشربل ويبكي قائلاً: إنه جعلني ادرك أن لفني بعداً آخر غير التسلية والتثقيف. وهكذا أنهى مكتبي الحلقة بدموع خبّاز من دون أي كلمة إضافية.

تجدر الإشارة في هذا السياق ، أن مالك مكتبي خصص حلقة من برنامجه في ٣٠ تشرين الثاني من العام ٢٠١٦ لزواج القاصرات تحت عنوان «لازم ترجع طفولتهن» واستضاف خلالها فتاة عمرها ١٥ عاماً وهي أم لولدين، وفتاة عمرها ١٣ سنة أجبروها أهلها

على الزواج، وتطلقت بعد اربعة أشهر . إثر هذه الحلقة أثنت الصحافة المكتوبة على أداء مكتبي فكتبت نادين كنعان في جريدة « الأخبار « تحت عنوان :« مالك مكتبي مترفعاً عن الإثارة: الوعي والعلم حصن القاصرات»، لتقول إن ما يميز الحلقة فعلاً هو زاوية المعالجة. إذ جرى التركيز على مسألة «طلاق القاصرات» وأهمية التعليم. بادائه الهادىء والبعيد عن الإثارة التي تخيم على الشاشات المحلية ، استقبل مكتبي ثلاث فتيات أرغمن على الزواج المبكر وهن لم يتجاوزن ال ١٣ عاماً. [٣٠]كذلك ورد في «النهار « تحت عنوان: « رعب زواج القاصرات ...ومفاجأة مالك مكتبي السعيدة !» أنها حلقة من عمق واقع نهرب منه ونخاله أصبح ماضياً، قدمها مكتبي بحرص المحاور ألا يزعج ضيفه ويدينه ويثقل عليه .مثل مرارة عائشة، هي مرارة الصغيرة شيماء. حضرت زفاف زوجها الأول حين كانت طفلة في السابعة، وهي اليوم مطلّقة. «أنا طفلة بجسد امرأة»، تقول، وقلق الأيام على وجهها. فاجأهما مكتبي بطلبه عودتهما إلى المدرسة، والاصرار على ذلك. بداية، رفض الأهل، ثم وافقوا على مضض، فظهرت ضحكتهما للمرة الأولى في الحلقة، وعوض الدمع، حلَّ الأمل وفرح القلب بلحظات من طفولتها المسلوبة، لعلّها تعود فيعود للحياة معنى.[٣١]

«ملك وملكة جمال الأطفال2016»

تضمنت الحلقة التي بثتها قناة «OTV» في ٩ ايلول ٢٠١٦حفلاً لاختيار ملك وملكة جمال الأطفال لعام ٢٠١٦ (كانت قد نظمت حفلاً مماثلاً العام الفائت). اشترك في المسابقة نحو ٢١ طفلاً وطفلة. بدأت الحفلة بالتركيز الشديد على «جمال الأطفال» وبراءتهم» إذ تقول مقدّمة الحفل «الأطفال حملو اسم لبنان بشخصيتن وجمالن وبراءتن». ولا تنسى بأن تذكّر باسم شركة الانتاج التي تم تنظيم الحفل باشرافها لتشكر صاحب الشركة شخصياً. وبعدها تعرّفنا المذيعة على الأعضاء الذين سيحكمون على جمال الأطفال ويختارون منهم ملك أو ملكة جمال لعام ٢٠١٦ بالاشتراك مع تصويت الجمهور. تضمنت اللجنة الممثلة باتريسيا فغالي التي تمثل في البرنامج الفكاهي «اربت تنحل»، زينة دكاش الممثلة اللبنانية التي اشتهرت في البرنامج الفكاهي «بسمات وطن»، والممثل الكوميدي وسام صباغ، والمغني أنور الأمير.

٣٠ جريدة «الأخبار». ٢ كانون الأول ٢٠١٦
٣١ جريدة «النهار». ٣٠ تشرين الثاني ٢٠١٦

افتتحت الحفلة بتقديم فتى يدعى كريم عبدو أغنية تقول كلماتها «كان لازم اقتنع انو ما في غرام»، بعدها ظهر الاطفال المشاركون في لباس البحر يتمايلون على أنغام موسيقى غربية، يضعون الماكياج الذي يخفي ملامحهم، يمشون ويقفون مقلدين الكبار بتعابيرهم الإيحائية، في مشهد سلب منهم براءتهم. وحده الجمهور الذي بغالبيته من الأهل صفق لما فعله المنتجون بأولادهم. تبدأ المذيعة بجولة من الأسئلة لـ«اختبار ذكاء الأطفال»، فتأتي الأجوبة وكأنها تلقينية حفظها الأطفال عن ظهر قلب، مع حركات يبدو وكأنهم تدربوا عليها. يطرح عليهم أعضاء لجنة الحكم مجموعة أسئلة مثل: أي حيوان تحب أن يعيش معك في البيت ولماذا؟ إذا تلقيت دعوة من شخصية مشهورة من تكون ولماذا؟ اذا كان لديك ورقة بيضاء وقلم رصاص ماذا ترسم؟ ولماذا؟. عدّد ثلاث طرق للحفاظ على الارض والبيئة؟ نسمع الاجوبة التي حفظها الاولاد وبرافو كبيرة من لجنة الحكم. والمفارقة أن المذيعة سألت أعضاء لجنة الحكم فيما إذا كانوا يرغبون أن يشترك أولادهم في حفل كهذا .تجيب باتريسيا فغالي : «شخصياً لا أحب لأني أخاف من النتيجة، بنصح بنتي ما تشارك لانو ما بتحمل تزعل، بفضل بس تكبر لانو بتكون صارت قادرة تتحمل الخسارة». أما وسام صباغ فيخبر المذيعة أنه يفضل أن يركز ابنه على الدراسة في الوقت الحالي « لأنو عليه أن يدرس ويحصل علمه بالوقت الحالي». الأعضاء في لجنة الحكم لا يريدون لأولادهم أن يشتركوا في هكذا مسابقات بينما هم يشاركون في الحكم على أولاد الآخرين، يعلنون ذلك بصراحة وخلال الحفل؟! إنها لعبة المجتمع الاستهلاكي الذاهب بلعبة المنافسة إلى أقصى حدودها.

تخلل الحفل فواصل فنية لا دخل لها لا من قريب ولا من بعيد بالطفل أو الطفولة، فعضو لجنة التحكيم أنور الامير، قدم أغنيتن عن الغرام «شتقتلوا»، و«اذا ما بدقلي اليوم رح دقلو». لا نسمع في كل الحفل سوى مقاطع من أغاني الأطفال لنانسي عجرم. نعود ونرى الأطفال يتميالون بمكياج الكبار وفساتين سهرة على المسرح مرة أخرى لنسمعهم يجيبون ويردوون إجابات جاهزة على السؤال الموحد «ما هي شخصية ديزني المفضلة لديك ولماذا؟. تطلّ علينا المذيعة التي تذكر بأرقام التصويت لتقول لنا في ختام الحفل: عشنا معكن براءتهن وهضامتن (الأطفال)، وعشنا تربياتكن (الأهل) التي بالفعل أضافت نسبة عالية من النجاح. تتحدث عن البراءة المفقودة في هذا الحفل، من اللباس

إلى الحركات إلى الماكياج، تتحدث مراراً عن الذكاء. أي ذكاء وقد لقنوا الأطفال إجابات حفظوها عن ظهر قلب ورددوها على المسرح. في الختام يتوّج جميع الأطفال بألقاب، ويتم اختيار ملكة من دون أن نعرف كيف ولماذا وعلى أي أساس.؟!من هذه المشهدية التنافسية التي أقحم الكبار الأطفال في عالمها، المروجة للاستهلاك بمختلف تجلياته ننتقل إلى مشهدية من نوع آخر في برنامج آخر ومحطة أخرى.

- «للنشر» حادثة تعنيف أب لأطفاله

تناولت ريما كركي في إحدى حلقات برنامج «للنشر» تاريخ ٢٠-٢-٢٠١٧ على تلفزيون الجديد حادثة اتهام «الشيخ الشيعي المعمم هيثم عيسى بتعنيف أطفاله (٩ و١٠ سنوات) من زوجته السابقة المدعوة «إخلاص» بالإشتراك مع زوجته الحالية سكينة وعمتها»، لمدة ١٧ دقيقة . وكان أن ركزت كركي في الأساس على الصفة الدينية للمتهم من خلال أسئلتها، والمصطلحات التي استخدمتها، كمثل القول في مقدمة الحلقة: شيخ يعنف أولاده بطريقة وحشية..ابن الشيخ سيكون معنا للحديث عن أجواء البيت المعتمة»، محمد جواد الابن الأكبر ماذا يقول حصرياً للنشر؟. وهكذا ظهر في التقرير المصور الابن البالغ من العمر ١٨ عاماً ليعرّف عن نفسه وعن والده ويؤكد أن والده شيخ معمم درس الدين ل١٣ عاماً، كما أكد أنه متعدد الزوجات وعندما وصل إلى صلب الموضوع أكد المعلومات التي تحدثت عن تعنيف وحشي لإخوته الصغار على يد والده، وزوجته الحالية وعمتها. بدا الشاب مرتبكاً في التقرير يؤكد معلومات وينفي أخرى. من ناحية يقول: «مرت السيد والسيد كان يعنفوا الولاد زهراء وحيدر بأبشع الطرق، وأم الأولاد قالت إنه تمّ فض بكارتها لحتى تربي سكينة «الزوجة الحالية». ومن ناحية ثانية، يشير أن الأولاد المعنفين كانوا «يعفرتوا بحسب تعبيره، وقد فتحوا الغاز في إحدى المرات»، وإن كان لم يبرر لذويه فعلتهم». وكشف الشاب أنّه هو نفسه قد تعرض للتعنيف أيضاً وقد «أطلق عليه والده النارفي إحدى المرات». وتوجه لأبيه بالقول: «روح شلاح عمامتك، شوّه بيت عيسى»، وسرعان ما استدرك معاتباً والده: مين برد على امرأة.. خربولو بيتو (زوجاته)، وختم التقرير بالقول « أقول لأبي اتق الله».

استضافت كركي في الإستديو إلى جانب الإبن رجل دين، ومحامي المتهم عبر

الهاتف. وانهالت أسئلة كركي على الإبن، الذي بدا غارقاً في ذكريات قاسية من طفولته، دون مراعاة لوضعه. وكانت كمن يستغل حقده على والده لكشف المزيد من التفاصيل التي حتماً ستضفي مزيداً من الإثارة على البرنامج، وتزيد من نسبة متابعيه. وكان أن تقمصت كركي شخصية المحقق سائلة الإبن عن الطقوس الدينية التي كان يمارسها الوالد في البيت، وعما إذا كانت هناك من أسئلة كثيرة عنه في الضيعة كرجل دين، وعن عدد الأولاد، وعدد الزوجات، وعن سبب ضرب أخوته، وعما إذا كان الوالد عنيفاً أم لا. بهذه الطريقة من الأسئلة وضعت كركي هذا الشاب في وضعية الشاهد، القاضي، الضحية، المشارك في الجريمة أو على الأقل الساكت عنها. على سبيل المثال تسأله: ماذا يستحق برأيك؟ هل رأيته وهو يعنف إخواتك؟ هل تدخلت؟ هل كانت تشارك زوجته بالضرب؟. أمام هذا السيل من الأسئلة، أجاب الإبن بأن أكثر الضرب أتى من الزوجة، في حين أن الوالد كان تعذيبه لأولاده نفسياً أكثر منه جسدياً . معترفاً أنه يصعب عليه تخيل المشاهد التي مرّ بها فكيف بأولاد أعمارهم بين ٩ و١٠ سنوات. وتسعى كركي لمعرفة المزيد عن المشاهد التي لا ينساها. وانتقلت به ليتحدث عن علاقته بأمه التي صرح بأنه لم يرها لمدة ١٤ عاماً. وعاودت لتسأله ما إذا كان يرى أمه؟ هل تمّ إعطاء والده الحضانة أم بالإتفاق مع أمه؟ هل يعنِّف والده زوجاته؟ وأخيراً سألته لماذا لم يلجأ لأحد؟ مقترحة عليه بعض الأفكار «هيك شي شيخ رايق» « مرجع بالضيعة»!! بنظرها تكمن الحلول باللجوء إلى أشخاص حوله ولرجال دين،مستبعدة القانون والقضاء والأجهزة المختصة.

وحرصت كركي في معرض إدانة المتهم، الذي ركزت على عمامته وصفته الدينية لأكثر من مرة، استضافة رجل دين شيعي لتعالج هذه القضية من المنظور الديني وبالتالي غيَّبت الجهات القانونية المخولة حماية الأطفال. واستهلت حوارها معه بشكره على حضوره بعدما رفض آخرون المشاركة في طرح موضوع حساس كهذا . فسألته « شو بتفسر هذا المشهد وماذا تقوله عنه». طبعا دان الشيخ المتهم وقال إن لا أهلية له بالحضانة؟ ولكن نتفاجأ أن الشيخ حوّل القضية لتصويب انتقادات قاسية على المجلس الشيعي الأعلى بالقول «غياب المؤسسة الرسمية الشيعية الدينية هي السبب في عدم محاسبة هذا الشيخ من قبل؟ وإن المجلس غايب وفايت بكوما (غيبوبة) كون آخر انتخابات أجريت فيه كانت قبل ٤٢ عاماً»، وأضاف : «لو كان عنا مؤسسة منضبطة كانت منعت هذه الأمور.. ما في مرجعيات دينية تضبط الساحة المشيخية»، ولكن ما علاقة ضبط الساحة المشيخية بضبط أفعال هذا الشخص اتجاه أولاده.

لماذا لم تتحدث كركي وضيفها عن القانون ودوره وعن ضرورة تثقيف الأولاد وتعريفهم على حقوقهم وعلى طرق التبليغ عن التعنيف، كل ذلك كان غائباً حتى في حديث محامي المتهم الذي حلّ ضيفاً عبر الهاتف، وأدلى بمعطيات جديدة تشير إلى أن المتهم جاء إلى مكتبه قبل الحادثة للإدعاء على زوجته السابقة بتهمة التحريض على ضرب أولاده من زوجته الحالية، لافتاً إلى أنه علم من الموكل أنه يضرب أولاده بهدف تأديبهم لقيامهم بأفعال منافية للأخلاق بحسب تعبير المحامي، الذي أكد أنه أطلع موكله على قانون يجرم تعنيف الأطفال، مشيراً إلى أنه لم يدافع عنه لجهة ضربه لأطفاله.

بعد هذا الحديث أراد المحامي أن يأخذ الحديث إلى زاوية أخرى فقال «لقد أنزل الاعلام بهذا الرجل حكماً مبرماً مع أن القضية لا زالت قيد التحقيق»، لكن كركي ردت بالقول إنّ «هذا الموضوع لا يتحمل إلاّ أن تحكم وتحكم بقسوة أيضاً؟». أما الشيخ فقال إنّ هذا الرجل «عنده خلل ولازم يتعالج»، وكل ذلك من دون تقديم معطيات جدية للمشاهد. وفي نهاية الفقرة كادت المعالجة تتحوّل إلى مشاحنة بعد اتصال أخ الزوجة الحالية سكينة ببرنامج للنشر ليسأل الإبن: ألم تشارك في تعذيب أخوتك؟. أنهت كركي الحوار بالقول إذا كان محمد جواد مشاركاً لا بد من أن تعالج الأمور بطريقة ما، دون أن تحدد موقفاً معيناً، وأفضل الختام كان مع تمنيات كركي بأنه «على أمل كل شخص اذا عندو شكوى يلجأ إما لرجال الدين أو للإعلام، شرط أن يتداول الاعلام الموضوع بطريقة عادلة ومحقة ونظيفة» بحسب تعبيرها. وبهذا تكون قد غيبت القانون والأجهزة المختصة.

تابع برنامج للنشر قضية الشيخ الذي عنف أولاده في الحلقة التي بثت بتاريخ ٢٧-٢-٢٠١٧. وعالجت كركي الموضوع في الدقيقة ٥٦، تقريباً في منتصف الحلقة، وبثت تقريراً يتحدث فيه أخ الزوجة الحالية للشيخ سكينة المتهمة بتعنيف الأطفال، وكان علي اتصل في نهاية الحلقة الفائتة ليدافع عن أخته وقد ظهر في الفيديو بالصوت من دون صورة واضحة. وفي الترويج للتقرير قال المعدون « أخ سكنية يكشف حقائق للمرة الأولى عن أسباب تعنيف الشيخ لولديه». اتهم أخ سكينة الأطفال المعنفين بتعنيف أولاد أخته بتحريض من أمهم، واتهم أخاهم أنه كان يضربهم، دافع عن أخته وقال إنها الضحية، واتهم الأطفال المعنفين بأنهم كانوا يقوموا بأفعال منافية للأخلاق!.

تساءلت كركي مع ضيفتها «المكلفة من مكتب شؤون حماية الأحداث» حول ما إذا

كان من المسموح أن يُقال عن أطفال عمرهم تحت عمر العشر سنوات بأنهم يقومون بأفعال منافية للأخلاق؟ وهل من المسموح لأبيهم أن يسجنهم في حمام لمدة ٨ أيام إذا كان عندهم هذه العادات غير الأخلاقية؟ تتساءل كركي قائلة «أدي ممكن نروح بجهلنا لهذه الدرجة؟» ولم نعرف كمشاهدين مثلاً ما إذا كان من المسموح لكركي ومعدّي برنامجها أن يستضيفوا شخصاً ليقول إنّ الأطفال يقوموا بأفعال منافية للأخلاق بكلمة أكثر وضوحاً وهل صوت الزمور الذي غطى الكلمة يعفيهم من هذا الفعل؟. تطرقت الضيفة لدور الاعلام وتأثيره على عملها وأشارت إلى أنه يصعب عليها التعامل مع الأطفال بعد المشاركة في هكذا حلقات. وأشارت إلى أن دور الإعلام يجب أن يقتصر على الإضاءة على هذه الأمور ومساعدة الضحية بعدم فضحها. هذا الكلام أربك كركي، فسارعت للاعتراف بأن «الإعلام يتسرع، ويتداول معطيات غير مؤكدة، ويرتكب الأخطاء،وبالنظر لترابط الموضوعات،يوضع الإعلام دائماً في دائرة الاتهام».

إن طرح برنامج « للنشر» لهذا الموضوع بهذه الطريقة أربك المقدمة والضيوف والمشاهدين على حد سواء، وكانت الحصيلة أن تفشى العنف واستشرى في كل الاتجاهات؛ في طريقة الترويج للبرنامج، واختيار الضيوف وتوزيع الكلام عليهم، في ثنايا الأسئلة المطروحة، في الإجابات، في الكلام عن الضحايا، وعن الشهود، لدرجة لم يوفر المقدمة نفسها. فطفت هذه القضية لفترة وجيزة وخبت، لتعود وتطفو مكانها قضية اخرى، وهكذا دواليك يستمر العنف وتستمر ثنائية الإعلامي ورجل الدين في الحفاظ على الستاتيكو القائم، والذي يكمن خلفه افتراض القيميين على البرنامج لمن هي الأطراف المعنية بموضوع الطفولة والعنف الممارس بحقها.تدعمها بالطبع آلية عمل هذه البرامج الممسرحة والمثيرة للعواطف للمشاعر بمختلف تلاوينها، وأساليبها في طرح مواضيع الحلقات وتحديد الضيوف المشاركين فيها.

معالجة عينة من نشرات الأخبار لموضوعات الطفل

بغرض الاطلاع على الطريقة التي تتعامل فيها محطات التلفزة اللبنانية خبرياً مع موضوع الطفل، تم رصد ١٠ نشرات أخبار من كل محطة، باستثناء «ان بي ان» رصد منها ٧ نشرات، و«المنار» ٩ نشرات ، لنقص في الأرشفة، وتم الرصد على فترتين امتدت الأولى من ٩ إلى ١٣ نيسان والثانية من ٩ إلى ١٣ أيار ٢٠١٦. وشمل الرصد محطات «المستقبل»، «ان بي ان»، «ام تي في»، «أو تي في»، «ال بي سي آي»، « نيو تي في»، «المنار»، «تلفزيون لبنان». وكان ذلك بناء على شبكة

تحليل صممت خصيصاً لذلك، بغرض معرفة الحيز والموقع الذي شغله موضوع الطفولة من نشرات الأخبار، والاطلاع على طرق المعالجة الخبرية، والمصادر التي تمّ اللجوء إليها، والجوانب التي تم التركيز عليها .[٣٢]

وفي ضوء المعطيات التي تمّ الحصول عليها، تبيّن أنّ ١٦٪ فقط من النشرات حملت أخباراً عن الطفل. توزعت هذه النسبة على المحطات لتحتل في المرتبة الأولى بالتساوي كل من « ال بي سي » و «نيو تي في» بنسبة ٢٥٪ لكل منهما، تليهما بالتساوي كل من محطتي « المستقبل» و«ان بي ان » بنسبة ١٧٪ ، من ثم « المنار» و«ام تي في» بالتساوي بنسبة ٨٪، ليغيب كليّاً موضوع الطفل عن كل من نشرتي «تلفزيون لبنان» و «او تي في» . ووردت هذه الأخبار في العناوين بنسبة ٨٪، في الفقرات الأولى من النشرات بنسبة ٤٦٪ والفقرات الثانية بنسبة ٣٨٪ والثالثة ٨٪: وغابت كليّاً عن المتفرقات وعن مقدمات نشرات الأخبار. أنظر الرسومات ١ و٢ و٣.

رسم رقم ١

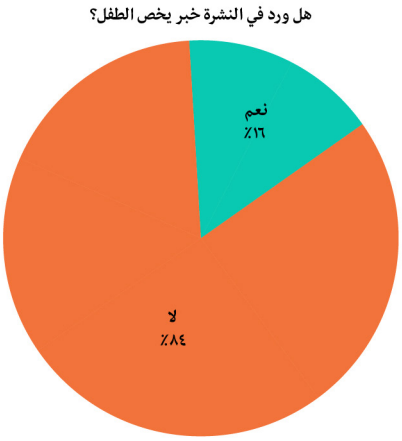

من أصل ٦٦ نشرة أخبار، ١٢ منها فقط تضمنت أخباراً عن الطفل

٣٢ انظر الشبكة ص. ٩٣

تكوّن الفريق الراصد من طلاب الماستر ٢ في كلية الاعلام: تغريد السميري، ملكة خانات، رالف ضومط، زلفا عساف، ليال سعد، جوزيت ابي تامر، زينة محاسب.

رسم رقم ٢

توزع أخبار الطفل على القنوات الاخبارية بحسب نسبة تناولها

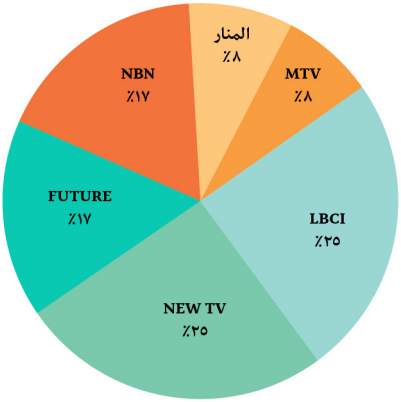

تجدر الإشارة أنّ نشرات «تلفزيون لبنان» وال«otv» لم تتضمن أخباراً خاصة بالطفل خلال فترة الرصد.

رسم رقم ٣

في أي موقع من النشرة وردت أخبار الطفل

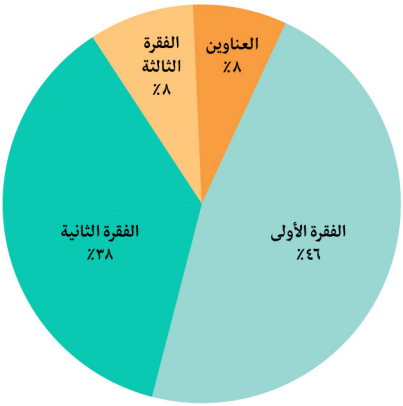

لم ترد أخبار الطفل في مقدمات نشرات الأخبار أو في المتفرقات أبد

وتوزعت مواضيع الأخبار التي وردت في النشرات على الشكل الآتي: أخبار عن الأطفال متصلة بالأحداث الأمنية بنسبة ٣٧٪، حوادث عنف بنسبة ١٩٪، نشاطات رياضية بنسبة ١٣٪، اطفال متميزين ١٢٪ نشاطات تربوية ٦٪ ، غير ذلك ١٣٪ تتوزع على خبر حول طفل حديث الولادة رمته

والدته في النفايات- معاناة الأهالي وأطفالهم من البرغش الناتج عن أزمة النفايات. انظر الرسم رقم ٤

رسم رقم ٤

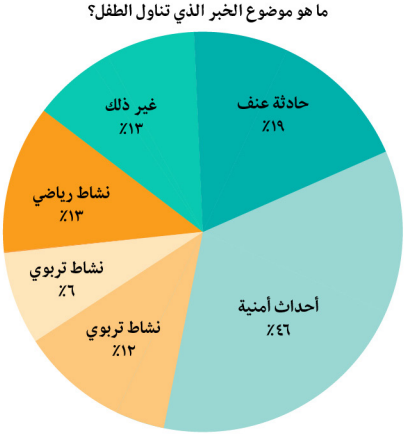

ولمزيد من الإيضاح يمكن إيراد عينة من مواضيع الأخبار حول الطفل:
خطف طفلين، أم ترمي طفلها في النفايات، مقتل طفل برصاص ابتهاج في احتفالات الفوز بالانتخابات البلدية، قبض الأمن العام على شبكة ارهابيّة تابعة لداعش تجنّد قاصرين، أطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة في مؤسسة «الهادي» يحصدون المركز الأول في بطولة أوروبيّة للتعليم التفاعلي/قصف في ريف حمص، طالبٌ في «المعهد الأنطوني» صنع رجلاً آليًا يساهم في فرز النفايات: فوز طفل في لعبة الجودو،تغطية youthmarathon،معاناة الأهالي وأطفالهم من البرغش الناتج عن أزمة النفايات، إعتقال أطفال في فلسطين المحتلة. وتحدثت هذه الأخبار عن الأطفال الذكور بنسبة ٤٢٪، والأطفال من الجنسين على حد سواء بنسبة ٥٨٪. وإن الأطفال الذين تناولتهم الأخبار لبنانيين بنسبة ٥٦٪، سوريين بنسبة ٦٪، فلسطينيين بنسبة ٥٪ ، جنسيات أخرى٢٢٪ ، غير مذكور ١١٪. وكان الطفل في هذه الأخبار ضحية بنسبة ٦١٪، موضوعاً ٣١٪، كخلفية للموضوع ٨٪. انظر الرسومات رقم ٥ و٦ و٧.

رسم رقم ٥

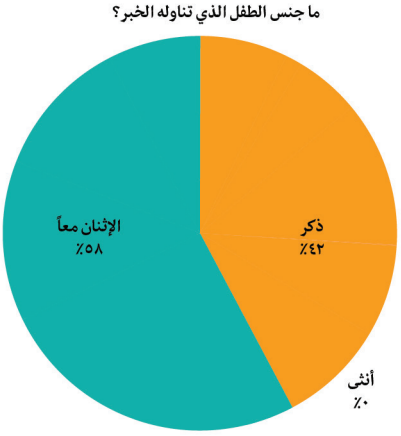

رسم رقم ٦

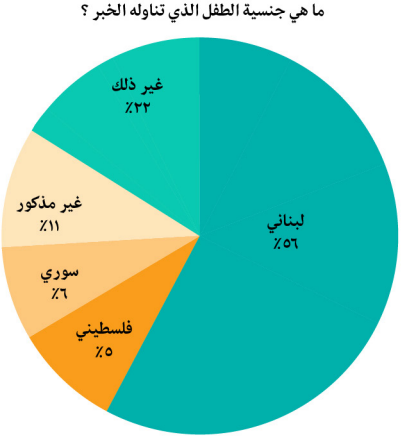

رسم رقم ٧

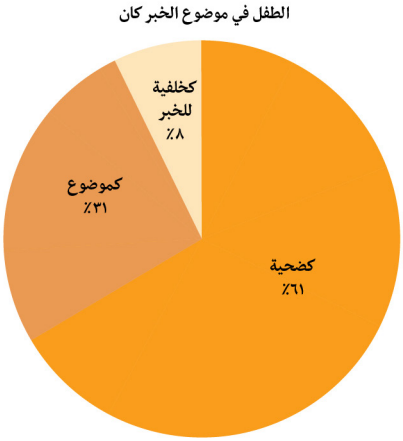

واستخدمت النشرات التقارير الصحفية بنسبة ٥٠٪، الريبورتاجات ٣٣٪، التغطيات ١٧٪. وكانت نسبة الأخبار التي ظهر فيها الطفل بصورة واضحة ٦٧٪.علماً أنّ جميع الأخبار التي تطرقت للطفل ترافقت مع صور. وأتت هذه الأخبار محملة بمواقف معينة بنسبة ٦٧٪، توزعت هذه المواقف بالتساوي بنسبة ٢٥٪ تجاه الحكومة، الأهالي، المجتمع، ومن ثم غير ذلك بنسبة ١٣٪، وتجاه القانون بنسبة ١٢٪. انظر الرسومات رقم ٨ و٩ و١٠ و١١

رسم رقم ٨

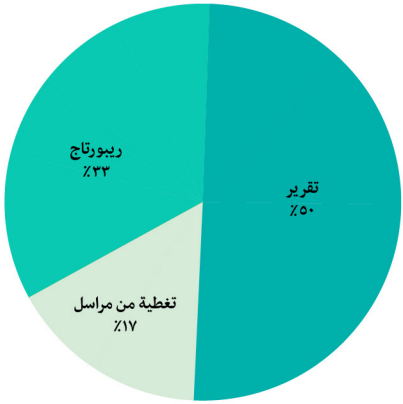

رسم رقم ٩

هل ظهر الطفل في الصورة بوضوح؟

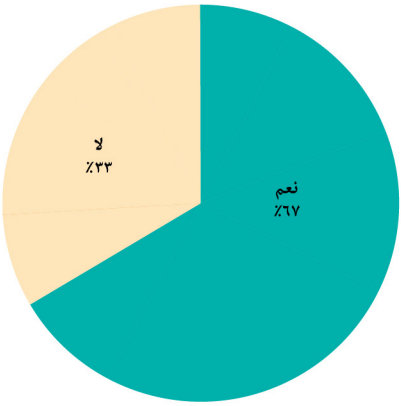

رسم رقم ١٠

هل تضمن الخبر موقفاً معيناً؟

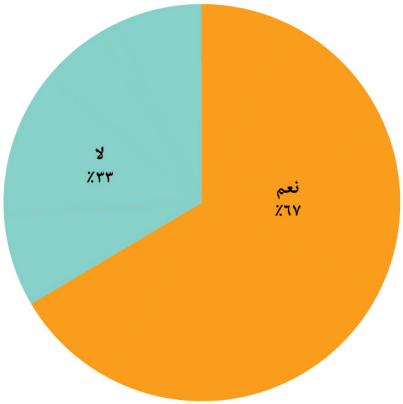

رسم رقم ١١

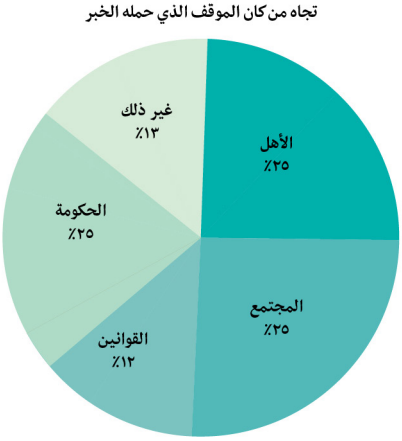

وبغرض معرفة التمايزات العائدة لكل محطة في طريقة تعاملها مع الاخبار الخاصة بالطفل يمكن العودة إلى الفريق الراصد الذي دون الملاحظات الآتية:

إن الخبر عن وضع الطفل المرمي في مستوعب النفايات أتى في نشرة « أم تي في» عادياً ولم يحمل أية صورة للطفل، ولم يتضمن أي موقف ولا أية رسالة.[٣٣] في حين تضمنت نشرة «ال بي سي» خبرين: الأول عن محاولة اختطاف الأم استرالية لولديها اللذين يحملان الجنسية اللبنانية أيضاً، ومستجدات القرارات القضائية في القضية، والثاني عن أم رمت رضيعها في النفايات. مستخدمة النص التالي:«وفي مقابل أم تسعى لاستعادة ولديها ولو بالخطف أم ترمي رضيعتها في مستوعب للنفايات» يلوم الأم الثانية بينما يبرر للأولى ما فعلته عبر وصف خطفها لولديها بـ«تسعى لاستعادتهما»، مع العلم أن العملين مخالفان للقانون.[٣٤] وكانت نشرة ال «lbc»التي قد بثت في التاسع من نيسان ٢٠١٦ ، في معرض متابعة لقضية خطف الطفلين اللبنانيين لهالا ونوح الأمين اللذين يحملان الجنسية الاسترالية، تقريراً ذكر أسماء المتهمين بالتدبير لعملية الخطف من دون بث صورهم، مع الاستعانة فقط بغرافيكس للاشارة لهم (في حين نرى في بداية التقرير صور من إحدى كاميرات المراقبة يبدو أنها للخاطفين، ولكن المعد لم يذكر ذلك تحديداً). كما تمّ ذكر تفاصيل الخطة التي وضعها الخاطفون والتي كشفتها القوى الامنية أثناء التحقيق معهم.

٣٣ « أم تي في « نشرة ١٢ نيسان ٢٠١٦
٣٤ LBCI نشرة ١٢ نيسان ٢٠١٦

اللافت أنّ صور الفيديو الوحيدة في التقرير كانت للطفلين ووالدهما حين تسلمهما من إحدى مراكز القوى الأمنية، وهو يهم بحملهما إلى سيارته. لم يطرح التقرير أية أسئلة حول خطف الأطفال، كما لم يعالج هذه القضية من أي باب، واكتفى المعد بسرد أسماء الخاطفين وما كانوا يخططون له من دون أن يشير إلى أي أمر آخر. واللافت أنّ صورة الطفلين ظهرت بوضوح فيما غابت صورة المتهمين واستبدلت بالغرافيكس. بالمقابل، خبر الخطف الذي ضجت به وسائل الإعلام ، ورد في وسط نشرة المنار وكانت مدته ٢٥ ثانية فقط[٣٥].

وإزاء مقتل أحد الأطفال في حادث إطلاق نار عشوائي، أوردت «lbc» الخبر في مقدمة نشرة أخبارها، فجاء الحادث في ثالث عناوينها «رصاص الابتهاج ينقلب إلى رصاص المأساة»، ورافق العنوان صورة ثابتة للطفل الضحية تليها صورة سريعة للوالدة على ما يبدو (لا يظهر ذلك بشكل واضح). فجاء في المقدمة: « قبل قراءة الأرقام () وقفة مع تطورات مأسوية ترافق الانتخابات البلدية. من أحداث مواكبة للعملية الانتخابية تحول رصاص الابتهاج إلى رصاص المأساة». بعدها جاء التقرير الذي تناول الحادثة كثاني مادة خبرية في النشرة، سبقها تقرير عن ضحية أصيب في قدمه على خلفية لإشكال تخلل الانتخابات البلدية، فيما جاء مقتل الطفل «أحمد ابراهيم» ابن ال١٦ عاماً برصاص الابتهاج بعد هذه المادة الخبرية. وهو ما يطرح سؤالاً عن سبب تقديم خبر إصابة رجل بقدمه على خبر مقتل طفل، مع العلم أن الاثنين ضحايا تداعيات الانتخابات البلدية. وضع معدّو النشرة حادثة مقتل الطفل ضمن ما قالوا عنه «ملف السلاح المتفلت»، لافتين إلى أن «الخسائر في زمن تجميد رخص السلاح أكبر» بحسب تعبيرهم. اللافت أنّ والد الضحية أيضاً طالب الدولة بأن تعمل على مصادرة السلاح المنتشر والذي يُطلق عشوائياً في «الحفلات، المهرجانات، الأعراس، وغيرها». وقد حملت نهاية التقرير انتقادا شديداً جاء فيه التالي «أحمد الذي كان سيغادر للولايات المتحدة الأميركية خلال أسبوعين لاستكمال دراسته، غدرت فيه فوضى لا تعترف بطاقة علمية ولا نخبوية ولا تحترم قوانين ولا تفهم إلاّ بلغة السلاح».[٣٦]

في حين ان « نيو تي في» استخدمت صور الاطفال كخلفيّة ولم تضف أي معلومة إلى التقرير خصوصاً أنها غير مرتبطة بشكل مباشر بالخبر. كما أنها لا تحمل قيمة

٣٥ المنار ١٢ نيسان ٢٠١٦
٣٦ « ال بي سي» نشرةالعاشرمنأيار ٢٠١٦

إضافيّة بما أنها مأخوذة عن «يوتيوب». فقد تكون الصور مستخدمة لإضفاء تشويق ما بما أنها تخص «داعش» أو لتعبئة التقرير بصور متحرّكة لأن الخبر يقتصر على المعلومات من الأمن العام وصور المتّهمين وبعض الخرائط. وفي الحالتين تكون القناة قد أساءت إلى الأطفال باظهارهم بوضوح خلال تعرّضهم للعنف.[٣٧] أيضاً ظهرت في المحطة عينها مواقف على لسان مدير المدرسة، في معرض تسليط بعض التقارير الضوء على انجاز أحد الاطفال، الذي وجّه رسالة شجّع فيها على الهجرة للمتفوّقين علميًا لأنّ سوق العمل المحليّ محدود، قائلاً:«بلدنا مش قائم على تشجيع الدولة، البلد قائم على القطاع الخاص».[٣٨]

بثت الـ « ان بي ان » تقريراًعن حادثة انتشار البعوض في مناطق تجمع النفايات ومعاناة الأهالي منها، فابرز المعد مواقف الناس الذين اتهموا السلطة بالتقاعس في إيجاد الحل لمشكلة النفايات، وتضمن مشاهد من الموقع ومقابلات مع المتضررين الذين عمدوا إلى إظهار أطفالهم الذين يعانون من هذه الآفة أيضاً نرى في التقرير آثار لسع البعوض على جلد الأطفال لإظهار فداحة الآفة.[٣٩]

الطفل في الصحافة المكتوبة

الصحافة المطبوعة الموجهة للطفل في لبنان

فيما يتعلق بالصحافة المطبوعة الموجهة للأطفال، يوجد حالياً في لبنان حوالي ٥ مطبوعات موجهة للاطفال موزعة على مستوى مصدريها على الشكل الآتي : دائرة الصحة في جامعة البلمند، الرهبانية الانطونية المارونية، كشافة المهدي، المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي، ودار قنبز للنشر. وتنوعت أهدافها تبعاً لمصدريها، بين التسلية والتثقيف الصحي، والتنشئة الانسانية والدينية، والوطنية .كما هو وارد في الجدول أدناه رقم ٢. واللافت أن من بين هذه المجلات هناك مجلة واحدة تصدر رقمياً إلى جانب الإصدار الورقي «قنبز» . وكان أن توقفت ثلاث مجلات عن الصدور وهي على التوالي «سامر « في العام ١٩٩٥، «أحمد « و «توتة» اللتان كانتا صادرتين عن دار نشر «الحدائق» التي تعنى بكتب وقصص الأطفال، وتوقفتا في العام ٢٠١٣.

٣٧ «الجديد»نشرة ١٠ نيسان ٢٠١٦
٣٨ «الجديد»نشرة١١ أيار ٢٠١٦
٣٩ NBN»»نشرة ٩ نيسان ٢٠١٦

جدول رقم ٢ المجلات المخصصة للأطفال في لبنان

اسم المجلة	جهة الاصدار	تاريخ الاصدار	تاريخ التوقف عن الصدور	التعريف بالمجلة
مجلة أحمد	دار الحدائق	١٩٨٧	٢٠١٣	أحمد» مجلة شهرية متنوعة للفتيان والفتيات، ومخصصة للمرحلة العمرية (من ٨-١٤ سنة)، وبحسب موقع دار الحدائق الإلكتروني فإن المجلة «تهدف إلى تقوية علاقة الناشئة بالقراءة وتنمية ذائقتهم الفنية، ومهاراتهم الفكرية عبر نصوص أدبية وعلمية مدروسة، كما تسعى إلى تعزيز القيم الإسلامية والإنسانية عموماً».
مجلة سامر	دار كتاب سامر	١٩٧٩	١٩٩٥	بدأت الدار عملها في أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، بإصدار مجلة سامر أسبوعياً في ٣١ أيار ١٩٧٩ كانت بالأبيض والأسود، وتلونت عام ١٩٨١. وكان شعارها «من أجل جيل عربي سعيد». توجهت للأطفال من عمر (٥-١٢عاماً)، وركزت المجلة بحسب موقعها الإلكتروني على «تأكيد الشخصية العربية وعلى تعزيز اللغة العربية، وحاولنا تجسيد القيم التي نعتقد أنها جديرة بأن يتبناها الأطفال»، وفق تعبيرهم.
مجلة توتة توتة	دار الحدائق	٢٠٠٠	٢٠١٣	«توتة توتة» مجلة متخصصة للفئات العمرية الصغيرة (٤-٧ أعوام. تتناول المجلة في كل عدد محوراً معيناً يتم اختياره حسب المناسبات، أو حسب المحاور التي تهم الأطفال. كما تقدّم المجلة موادها عبر الشعر والقصة، والحوار والتسلية والنشاط اليدوي.
مجلة نور ونورا	جامعة البلمند	٢٠٠٢	مستمرة	دائرة الصحة العامة في جامعة البلمند للتثقيف حول التغذية والبيئة والمواطنية.
مجلة قنبز	دار «قنبز» للنشر	٢٠١٥	مستمرة	مجلة «قنبز» مجلة مصورة- نصف فصلية، ولكلّ عدد من المجلة محور واحد يتناول المعارف العلمية والألعاب والقصص والرسوم الفكاهية والفن المعماري وعلم الآثار وفنون الخط العربي وعالم السينما وتاريخ الفن والأساطير والرسوم الغرافيكية وصناعة الأشكال الورقية. تصدر المجلة إلى جانب النسخة الورقية، بنسخة رقمية تفاعلية تتضمن تحريكاً وأصواتاً وفيديوهات، وهي عبارة عن تطبيق يمكن تحميله عبر خدمة «آي تيونز».
مجلات كشافة المهدي(مهدي أ- مهدي ب- مهدي ج)			مستمرة	مهدي أ(٤-٧ سنوات): مجلة موضوعية مكونة من ٢٨ صفحة، تتناول موضوعاً محدداً في كل عدد وتعالجه من جميع جوانبه. مهدي ب: (٨-١٢ سنة) مجلة متنوعة تتضمن ٣٦ صفحة تتناول مواضيع تربوية، صحية، دينية، علمية، ومواضيع «تعزز الانتماء الوطني، وتثقل الحس الأدبي والفني والخيالي للأطفال»، كما جاء على الموقع الالكتروني للمجلة. مهدي ج: (١٣-١٧ سنة) مجلة متنوعة من ٣٦ صفحة، تتضمن مواضيع شبابية تعزز المهارات الحياتية للشباب والناشئة، و»تساعد في تطوير القدرات الفكرية والجسدية لهم».
مجلةفتى الأمن	المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي	١٩٩٤	مستمرة	مجلة شهرية تصدر عن «المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي» في هيأة ملحق تتبع لمجلة « الأمن». ويقول القائمون على المجلة إنها «مجلة للجيل الجديد تعنى بشونه وقضاياه وتعلمه محبة الوطن والنظام وتعطيه ما يحتاجونه من ثقافة». تنشر المجلة كتابات ورسومات وصور الأطفال، كما تتضمن صفحات عديدة من الألعاب والمسابقات والجوائز، بالإضافة إلى قصة شهرية تتضمنها المجلة.
مجلة هللويا	الرهبانية الانطونية المارونية – مركز الاباث والدراسات الشرقية	١٩٩١	مستمرة	مجلة دينية للأطفال (٨-١٢ سنة) تأسست عام ١٩٩١، تصدر في ٨ أعداد سنوية (السنة الدراسية). وتتضمن المجلة الأبواب التالية: كتاب مقدس، ليتورجيا، أخلاق مسيحية، شهادات حية، ألعاب وثقافة عامة، صحة ومطبخ وآداب السلوك. ويقول القائمون عليها إنها تهدف إلى «تنشئة الأطفال تنشئة إنسانية ومسيحية».

ب- أبرز القضايا التي تناولتها الصحافة المكتوبة خلال العام 2016– نموذج صحيفة «المستقبل»

قبل الإطلاع على كيفية تناول عينة من الصحف اليومية المكتوبة للموضوعات والأحداث والوقائع الخاصة بالطفل لا بد من استعراض أبرز القضايا التي تناولها الاعلام خلال العام ٢٠١٦ من خلال تتبع أرشيف صحيفة المستقبل والذي تضمن ألف مقال تحدث عن الطفل سواء بالعنوان أم في النص، وبعد فرز العناوين فقط، تبين أنّ الصحيفة عنونت ما يقارب ٢٢٠ عنواناً تطرق للطفل مباشرة. وقد تبين أن العناوين انصبت بالدرجة الأولى على الاهتمام بنشاط الجمعيات بنسبة ٢٠٪، يليها الأحداث الأمنية بنسبة ١٣٪، وحوادث العنف بنسبة ١٢٪، تليها دراسات عن الأطفال بنسبة ١٠٪، ثم نشاطات ترفيهية بنسبة ٩٪، تليها شؤون صحية بنسبة ٨٪، ومن ثم شؤون تربوية ورياضية بالتساوي بنسبة ٦٪ لكل منهما، تصريحات لمسؤولين ٥٪، اجراءات ٤٪، نشاطات فنية ٣٪، وأخيراً بالتساوي بنسبة ١٪ لكلّ من موضوعات تخص التشرد، التمييز، التوعية، اختراع . انظر الرسم رقم ١٢

رسم رقم ١٢

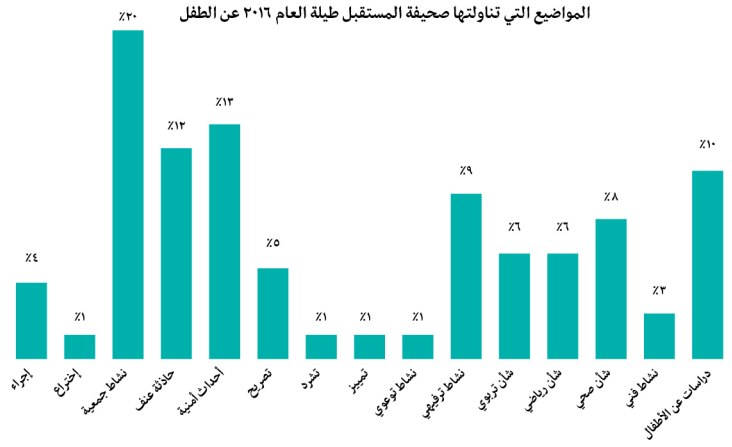

ج- معالجة الصحافة المكتوبة لموضوعات الطفل

تم رصد الصحف الآتية :«السفير»- «الأخبار»- «النهار»- «الديار» خلال الفترة الممتدة من ١٥- ٣٠ حزيران ٢٠١٦، بناء على شبكة رصد أعدت خصيصاً لهذا الغرض. وكان أن أتت نتائج الرصد على الشكل الآتي: وردت في الأعداد المرصودة لهذه الفترة أخباراً أو موضوعات عن الطفل بنسبة ٦٩٪. توزعت على الصحف المرصودة على الشكل الآتي : « السفير ٤١٪، النهار ٣٣٪، الديار ١٦٪، الأخبار ١٠٪. إذ نشرت «لسفير» ٣٨ خبراً خلال فترة الرصد، تضمنت جميع الأعداد المرصودة أخباراً عن الطفل. واللافت أنه في عدد يوم ٢٠ حزيران ٢٠١٦ نشرت «السفير» ٨ أخبار عن الطفل. أما صحيفة النهار فنشرت ٣٠ خبراً، باستثناء عددين لم يتضمنا اخباراً عن الطفل طيلة فترة الرصد، وكانت الصحيفة تنشر بين خبرين إلى أربعة أخبار يومياً في أعدادها. أمّا صحيفة «الديار» فنشرت ١٥ خبراً، خبران كحد أقصى في كل عدد في حين أن ٦ أعداد منها لم تتضمن أي خبر عن الطفل. وتضمنت « الأخبار» ٩ أخبار فقط عن الطفل طيلة فترة الرصد، و٧ أعداد منها لم تتضمن أي خبر عن الأطفال. أنظر الرسمين ١٣ و١٤

الرسم رقم ١٣

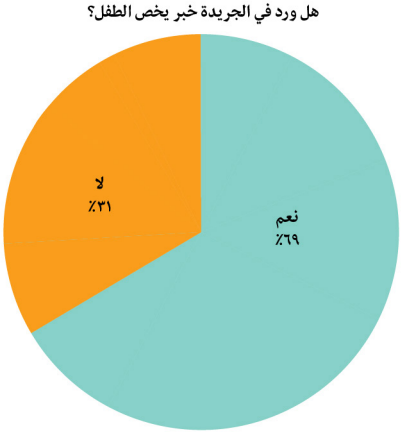

نسبة توزع أخبار الطفل على الصحف اللبنانية المرصودة

الرسم رقم ١٤

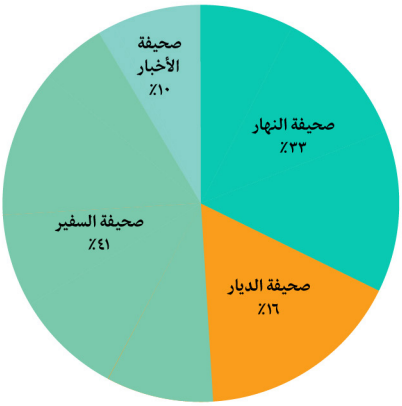

حضر الطفل بالدرجة الأولى في المواضيع التي تناولت الأحداث الأمنية بنسبة ١٩٪، وفي المواضيع العائدة للتشرد بنسبة ١٨٪، وحضر الطفل في المواضيع المختصة بالشأن التربوي ١٧٪ ولم تقتصر هذه المواضيع على النشاطات التربوية بل شملت أيضاً الحديث على سبيل المثال عن معاناة للطلاب، فساد تربوي..إلخ. وحضر في حوادث العنف بنسبة ١٤٪، وفي نشاطات الجمعيات بنسبة ١١٪، وفي النشاطات الرياضية ٦٪، يليها بالتساوي بنسبة ٤٪ في النشاطات الترفيهية والفنية، التي شملت الحديث عن أفلام سينمائية، ورسوم كاريكاتورية، ونشاطات فنية. وحضر في التقارير الدولية بنسبة ٣٪، وتوزعت النسبة المتبقية بالتساوي بنسبة ١٪ على كل من المواضيع العائدة للكلام عن الإجراءات، الاستغلال، الشأن الاقتصادي، الشأن السياسي. انظر الرسم رقم ١٥.

الرسم رقم ١٥

المواضيع التي تناولت الطفل في الصحف

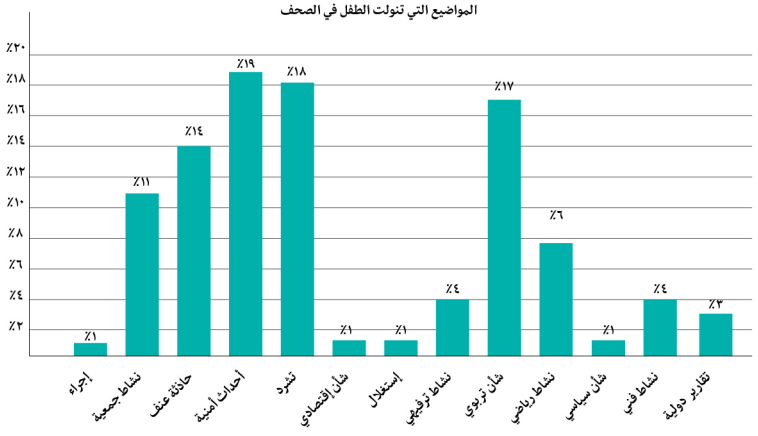

ووردت الأخبار عن الطفل في هذه الصحف بالدرجة الأولى في الصفحات الداخلية بنسبة ٨٠٪، وفي الصفحة الأخيرة بنسبة ١٢٪ وفي الصفحة الأولى فقط بنسبة ٨٪. انظر الرسم رقم ١٦

الرسم رقم ١٦

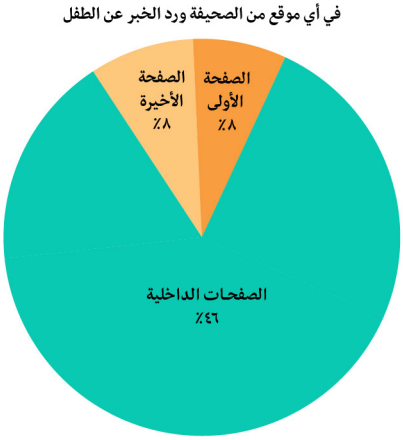

وفي المادة الصحفية عينها ، حضر الطفل بالدرجة الأولى في الصورة بنسبة ٤٥٪، وفي النص بنسبة ٣٢٪، أما في العنوان فحضر بنسبة ٢٣٪. انظر الرسم رقم ١٧

الرسم رقم ١٧

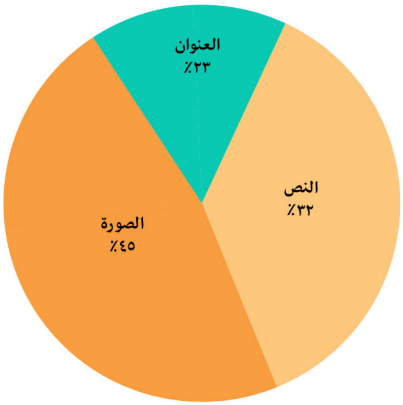

وتناولت الصحف المرصودة أخبار الأطفال الإناث بنسبة ٢٤٪، والذكور بنسبة ١٢٪ ، والجنسين معاً بنسبة ٦٤٪. وتوزعت جنسيات الأطفال على اللبنانيين ٣٢٪، السوريين ١٥٪، الفلسطينيين ١٢٪، أجانب ١٠٪، عراقيين ٧٪، يمنيين ٤٪، بحرينيين٢٪، غير مذكور ١٨٪. انظر الرسمين ١٨ و١٩.

الرسم رقم ١٩

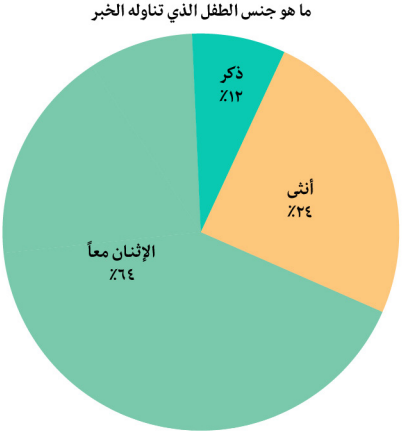

واستخدم الطفل بالدرجة الأولى كخلفية للخبر بنسبة ٣٨٪ ، وكموضوع بنسبة ٣١٪، ومن ثم كضحية ٢٨٪ ، وكشاهد بنسبة ٣٪. انظر الرسم رقم ٢٠.

الرسم رقم ٢٠

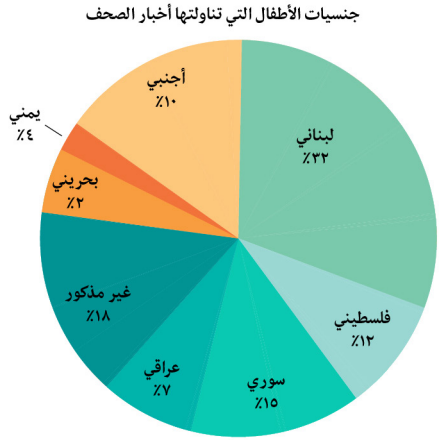

وبخصوص الأعمال الصحفية المعتمد لدى تناول موضوع الطفل فإنها توزعت بالدرجة الأولى على الأخبار بنسبة ٣٧ ٪، يليها التغطية بنسبة ٣٤٪، ومن ثم التحقيقات ١٨٪، مقالات الرأي ٨٪، مقابلات ٣٪.ونسبة ٣٧٪ من الأخبار الوارة لم يتم فيها ذكر المصدر. والأعمال الصحفية التي ذكرت مصادرها كانت بنسبة ٦٣٪ . توزعت على المصادر الآتية: المراسلين بنسبة ٦١٪، وكالات الأنباء ٣٥٪، مصادر رسمية ٢٪، جمعيات حقوقية ٢٪. انظر الرسومات :٢١و٢٢و٢٣.

الرسم رقم ٢١

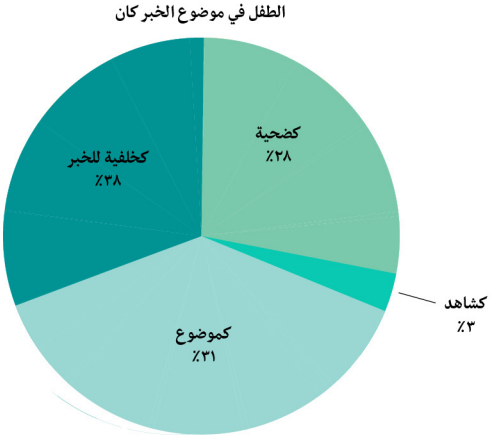

الرسم رقم ٢٢

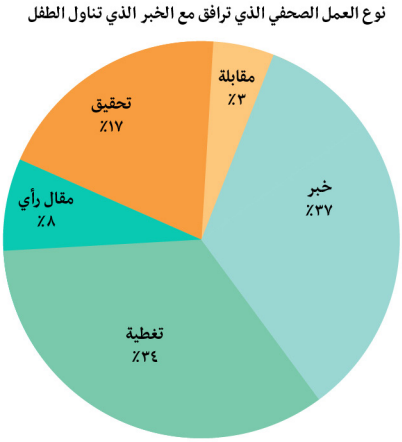

الرسم رقم ٢٣

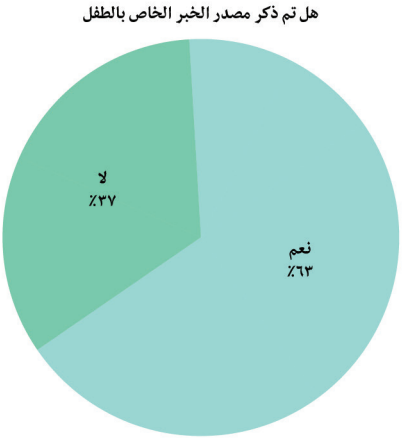

وترافقت الأخبار مع صور بنسبة ٧٥٪، ظهر الطفل فيها بوضوح بنسبة ٣٥ ٪ (صورة واسماً وجنسية)، وأحياناً كثيرة كان يشار إليه بالجنسية فقط، أو بصورته كطفل فحسب. وحملت الأخبار عن الطفل في أعداد الصحف المرصودة مواقف معينة بنسبة ٤٠٪. على سبيل المثال، ورد في الديار ٢٦ حزيران ٢٠١٦ خبر مقتل طفل إثر تسمم من أكل لحوم تحت عنوان « تسمموا.. وأحدهم توفي بسبب الكفتة» ومع ذلك لم يحمل الخبر أي موقف اتجاه الملحمة أو أية جهة حكومية. أنظر الرسومات : ٢٤ و٢٥ و٢٦.

رسم رقم ٢٤

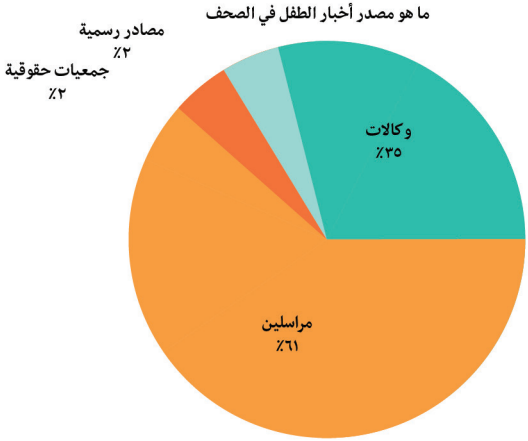

رسم رقم ٢٥

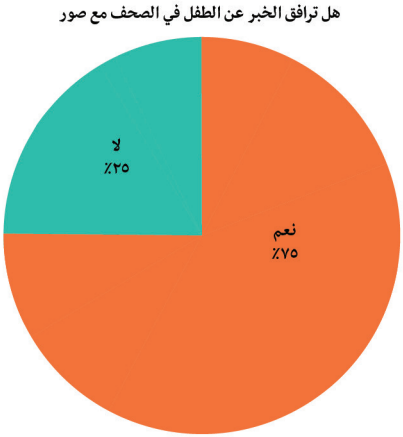

رسم رقم ٢٦

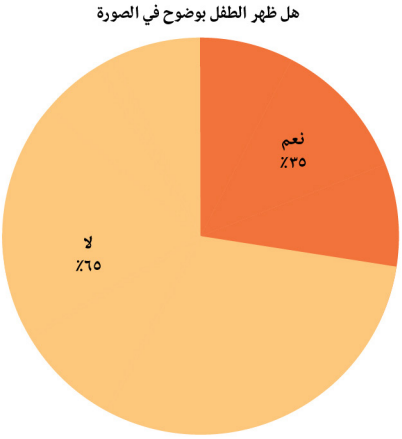

رسم رقم ٢٧

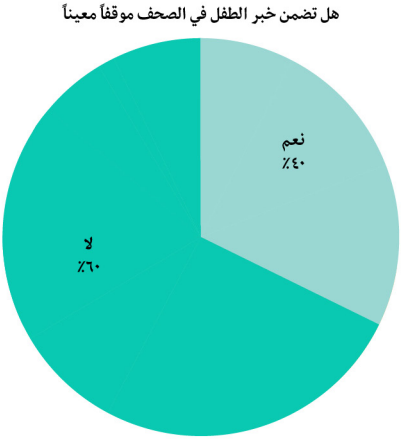

وقد تمدنا الملاحظات الناجمة عن الرصد لمضامين الصحف المكتوبة بمؤشرات تساعدنا على تحديد سمات تعامل كل من الصحف المرصودة مع موضوع الطفل. على سبيل المثال، ورد في هذه الملاحظات أن صحيفة النهار استعملت على الأغلب صور الأطفال إما لتحريك المشاعر، وإما لجذب القراء نحو الخبر، وإما كخلفية لنشاطات أو للكلام على موضوعات أخرى ليست بالضرورة وثيقة الصلة بالأطفال. وأحياناً تكون الصور هي الأخبار بعينها. على سبيل المثال، ورد في العدد ٢٧ حزيران٢٠١٦ثلاث مواضيع ظهر فيها الطفل، الأول كان خبر عن تسمم غذائي أدى إلى وفاة الطفل، أما الثاني كان تغطية لدورة نظمتها وزارة الشؤون الاجتماعية حيث ذكرت كلمة طفل بشكل عام كأحد اهتمامات الجمعية والوزارة، في حين أنّ الخبر الأخير تغطية لنشاطات السيدة ليلى الصلح وكان الطفل كخلفية في النص والصورة. وفي العدد الصادر في ٢٩ حزيران ظهرت صورة الطفل في سياق تغطية كانت أشبه بمقالة عاطفية، إنتقت تفاصيلها عن لسان نساء يتحدثن عن معاناتهن وأطفالهن من الحرب.

كذلك نشرت «السفير» صور الأطفال إما لجذب القراء وإثارة المشاعر وإما لجماليتها، أحيانا لا تكون للصور علاقة بالنصوص، وأحيانا أخرى تكون هي الأخبار بحد ذاتها. وأحياناً تكون موضحة للنصوص . على سبيل المثال،ظهرت صورة الطفل في عدد ٢٢

حزيران ٢٠١٦ في ٣ موضوعات: الأول كان عن إعتصام للمطالبة بمحاسبة مغتصبي الأطفال في دار الرعاية الإسلامية، الثاني كان خبراً عن موجة الحرّ، أما النص الثالث فتكلّم عن معاناة أبناء رفح في قطاع غزة الصعبة وعدم وجود مستشفى يلبي إحتياجاتهم. وفي عدد ٢٣ حزيران وضعت صورة الطفل في معرض الكلام عن وجود وزير خارجية أميركا السابق جون كيري في مناسبة أخرى جمعته بالممثلة الاميركية وسفيرة الأمم المتحدة للشؤون اللاجئين أنجيلينا جولي وأطفال لاجئين. ورد في عدد ٢٧ حزيران ثلاث مواضيع ظهر فيها الطفل: كان الموضوع الأول عن وفاة طفل إثر تسمم غذائي، أما الثاني فقد إستخدمت صورة الطفل لحث الناس للنزول إلى الإعتصام أما الثالث فكان يتحدث عن معاناة أسير وإبنته اللذين منعا من الالتقاء ١٥ عاماً. أيضاً وضعت في جريدة «الأخبار» في عدد ١٥ حزيران ٢٠١٦صورة الطفل لتحريك المشاعر لتندفع الناس للمشاركة بالإعتصام. وفي عدد ٢٠ حزيران توسطت الإحصائيات عن نسبة الأطفال من اللاجئين صورة كبيرة لأطفال مهملين.

أبرزت «الديار» في عدد ١٥ حزيران ٢٠١٦ صورة لأطفال فلسطينيين أثناء مواجهة مع قوات الاحتلال الاسرائيلي ولكن الخبر كان بعنوان «شبان فلسطينيين أطلقوا النار على القوات الاسرائيلية». بالإضافة إلى صور لحفلات مدرسية، وحفلات إفطار لجمعيات خيرية. في عدد ٢٠ حزيران ٢٠١٦ من «الديار» ترافق التحقيق بعنوان «طرابلس تعيش بؤساً لم تعشه في تاريخها /عائلات سورية موزعة على أرصفة المدينة «، مع صورة لأطفال مشردين، ولا كلام يعرّف الصورة أو مصدر يذيلها. وقد تحدّث التحقيق عن العائلات السورية النازحة في مدينة طرابلس بشكل عام واستخدم لتوجيه انتقادات لجهة سياسية معينة في المدينة. كذلك وردت صورة لأطفال مشردين في سياق خبر عن « تضيّق اسرائيل الخناق على تجار قطاع غزة «. وفي عدد ٣٠ حزيران من جريدة «الديار» تم استخدام صورة لأطفال سوريين نازحين ترافقت مع تحقيق عن الأوضاع الأمنية في لبنان تحت عنوان:«تفجيرات القاع الإصبع على الجرح النازف / تغيير في أسلوب التعاطي مع ملف النزوح «. لم يأت التحقيق على ذكر أي شيئ عن الأطفال .

نماذج من تعامل الاعلام اللبناني مع أحداث عنف كان الاطفال من ضحاياها، وأحياناً من مرتكبيها

تناولت وسائل الإعلام اللبنانية في الفترة الواقعة بين نهاية العام ٢٠١٥ وحتى نهاية العام ٢٠١٦ عدداً من القضايا الخاصة بالأطفال التي انشغل بها الرأي العام اللبناني، ومعظمها لا بل كلّها تقريباً تتناول أحداث عنف، ويمكن تصنيفها كالتالي:

- أولاً: أحداث كان الأطفال ضحايا للعنف فيها.
- ثانياً: أحداث كان الأطفال هم من قاموا بفعل العنف أو ممن خرقوا القانون.
- ثالثاً: احداث تخص العنف الذي يتعرض له الاطفال الذين يعيشون أوضاعاً صعبة ، وبخاصة الأطفال السوريين.

أولاً، تناول وسائل الإعلام لأحداث العنف المرتكب بحق الأطفال اللبنانيين

إن محاولة تحليل نماذج من معالجات الإعلام التقليدي مرئياً كان أم مكتوباً لأحداث عنف ارتكبت بحق الاطفال، ترينا كيف غدت المعالجة الإعلامية متداخلة مع ما يروج ويبث على منصات الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي،وكيف غيبت القضايا الأساسية والحقوقية للأطفال، نتيجة صراعات وانقسامات سياسية وحزبية وطائفية ومذهبية وقعت وسائل الإعلام في صميمها، معطوفة على أزمات اقتصادية محكومة بتنافس شرس على كسب ود ولفت انتباه القراء والمشاهدين بأي ثمن. وتجلى ذلك في مقاربة الإعلام لأحداث العنف المرتكب بحق الأطفال من منطلق لصق التهمة بمرتكب وحيد،مصحوباً ذلك بإيحاءات ذات صلة برمزية الانتماءات المناطقية والحزبية والطائفية والمذهبية والجنسية والعنصرية، لتأتي بعدها عمليات التبرأة والتنصل وتحييد المجتمع والسلطات السياسية والدينية والقانونية والمجموعات من مسؤولية ما جرى. لأن اللّجوء إلى عمليات النفسنة والفردنة يعفي المجتمع والقيمين على السلطة من مسؤولياتهم، وهذا ما يجهض القضايا العمومية ويؤدها في مهدها. ويمكن التمثيل على ذلك في معرض كشف الخطط التي اعتمدها المراسلون /ات في استحضار أطراف دون غيرها، وفي اعتماد

أساليب إيحائية للغمز من قناة جهة معينة، أو لتبرئة طرف وإدانة آخر. وفي تحوير الانتباه عن الموضوع المطروح، وبالتالي عدم التمكن من فتح الآفاق لمعالجته. وهذا ما سنتبينه في النماذج الواردة أدناه:

المعالجة الميدانية لمراسلة صحيفة «النهار» أسرار شبارو لحادثة تعنيف أب لأولاده، تحت عنوان: «هذا ما كشفه عارفو الأب الجلاد... وماذا عن عمامته؟»[٤٠] في البداية توصف المراسلة التعنيف الجسدي للطفلين بالاستناد إلى خبر أعلنته المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي، قائلة: هذا الخبر هز لبنان، خاصة وأن الوالد رجل دين معمم. بعدها تدخلنا هذه المعالجة الصحفية في متاهات اللعبة الإيحائية القائمة على اتهامات ضمنية لأطراف بعينها، وعلى فسح المجال لأطراف أخرى لتحييد نفسها وللتنصل من أية مسؤولية لنصل الى نتيجة مفادها أن قدر هؤلاء الأطفال أن والدهم غير طبيعي وأن لا علاقة للمجتمع ولا للقانون ولا لتطبيقه بما حصل لهم . أشارت المراسلة بطريقة إيحائية، في معرض تعيينها لمكان الحدث، إلى أن الحديث عن القضية ممنوع بعد التعميم الصادر من أحد الأحزاب اللبنانية، ومن تجرأ على التفوّه بكلمات قليلة عما يعلمه، شدد على عدم ذكر اسمه. وإذ بها تستنطق الجارة لتخبرها كلاماً محسوباً بعناية من أن المرتكب «غير ملتزم دينياً، وأنه تزوج ١٢ امرأة، لا يختلط بأحد من أبناء البلدة، وهو لا تظهر عليه هيبة أو وقار». وأنه حاول الانضمام أولاً الى أحد التوجهين السياسيين في البلدة تمّ نبذه، انتقل إلى التوجه الآخر فحصل الأمر ذاته، عندها انزوى بنفسه وفتح «مشروع» الرقية بالقرآن، وبدأ الناس من كل أنحاء الجنوب بقصده». وتستمع الصحفية إلى أحد وجهاء البلدة المتردد في الكلام ، كما وصفته، لاسيّما بعد توتر الأجواء في البلدة على إثر ظهور البعض على شاشات التلفزيونات في الأمس وتناول الموضوع، لينفي أن سجل نفوس المرتكب من البلدة، بل في بيروت، وأن زوجاته من خارجها، وأن لا أحد يعرف عنه الكثير. غير أنه لم يوفق في خطته المعدة للتبرؤ من فعلة هذا الرجل عندما أضاف: «أطلعتني إحدى زوجاته عن فصول التعذيب التي تعرضت لها على يده، من ضرب وذل وإهانة، استمر بأعماله المريعة في الخفاء إلى أن تقدمت طليقته إ.ص. قبل نحو أسبوعين بشكوى إلى النيابة العامة الإستئنافية ضده، فتحركت مفرزة النبطية القضائية في وحدة الشرطة القضائية، أوقفته وزوجته س. ح. ن. بجرم تعنيف قاصرين وشتم وتشهير».وتكتمل خطة التبرؤ من

٤٠ أسرار شبارو ، النهار ١٧ شباط ٢٠١٧

الرجل الذي انكشفت أفعاله الذي كان ينظر إليها المجتمع على أنها شأن أسري خاص، بكلام أحد أبناء البلدة عن الشيخ بأنه لم يكن يصلي ولا يشارك بأية مناسبة دينية ولا أحد يعرفه إلاّ من يلجأون إليه للرقية. ويضيف أنه عندما علم أنه يستخف بعقول الناس أحجم عن إلقاء التحية عليه . وأخيراً تكتمل حلقة التبرؤ مع نفي الشيخ عباس زغيب بانتماء الرجل إلى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وأنه بفعلته لا يستحق أن يكون إنساناً فكيف إذا كان شيخاً، مفترضاً أنّ الشيخ هو في رتبة أعلى من الإنسان.

إزاء هذه المعالجة يمكن القول أنه على الرغم من إيحاءات الصحافية بأن هناك جهة حزبية تمنع الناس من الكلام بالقضية، إلاّ أنها نقلت كلام أهل البلدة المحسوب بعناية والهادف إلى التبرؤ الكلي من الرجل، وإلى تبرئة الدين منه ومن عمامته، وإلى اعتباره دخيلاً على المجتمع وغير مرحب به. وبهذا حلّ المجتمع المنتهكة براءته من الرجل الدخيل عليه وعلى التديّن محل الأطفال الضحايا الذين كادوا يغيبون عن الموضوع المطروح وتغيب معهم قضية حمايتهم قانونياً ورعايتهم نفسياً .

رواية الصحافية أسرار شبارو لـ «تفاصيل اعتداء ثلاثة قاصرين على ابن العشر سنوات ... حاولوا قتله قبل افتضاح أمرهم[٤١].تستهل شبارو المعالجة بتعيين المكان (من بلدته صريفا الى شحور الجنوبية) لتصف فعلة القاصرين في التناوب على اغتصاب الطفل (ب. ح) ومحاولتهم التخلص منه بطعنة إلى أن وقع خلاف بينهم فرّوا على أثره من المكان، وما لبثت القوى الأمنية أن أوقفتهم بعد الإدعاء عليهم، من قبل الوالدة ، لتنتقل بعدها الى تحديد زمان وقوع الحادثة، وإخبارنا عن أعمار وجنسيات المرتكبين، مع ذكر الحرف الأول من أسمائهم وأسماء عائلاتهم، ولنعلم ان المرتكبين هما لبنانيين يبلغان من العمر ١٥ عاماً، وسوري عمره ١٧ عشر عاماً. وتعاود الصحافية رواية تفاصيل الحادثة على لسان أحد أقارب الطفل الذي صرح لها بأنه ليست المرة الأولى يتحرش القاصرون بـ «ب»، لكن هذه المرة كان الاعتداء كاملاً، لافتاً إلى أنّ»من بين المعتدين ابن شهيد في حرب تموز، قصدنا منزل عمه في السابق وأطلعناه على ما يفعله بابننا، فكان جوابه أنه لا ينصاع لأوامره، وان في استطاعتنا ضربه وتأديبه، طبعا رفضنا ذلك. أما المعتدي الثاني فوالدته انفصلت عن والده وتركت البلده. في اختصار، يمكن القول أن الثلاثة تربوا في محيط عائلي مضطرب، لذا لم يفاجأ أهلهم عندما علموا بخبر

٤١ أسرار شبارو، النهار ١٩ كانون الثاني ٢٠١٧

اعتدائهم، ولاسيما أنهم دائماً تحت تأثير الكحول والمخدرات، وان لم يستطيعوا تأمينها يستعيضون عنها باستنشاق التنر والبنزين» .حملت هذه التفاصيل من الإيحاءات ما يكفي لتحميل مسؤولية ما جرى على البيئة الحاضنة للمقاومة وشهدائها بغرض نزع الهالة والقداسة عنها. وهذا ما تولته صحيفة «النهار» المصنفة مؤيدة لفريق ١٤ آذار المناهض لفريق ٨ آذار المؤيد للمقاومة.

تنتقل بعدها شبارو لإخبارنا عن والد الطفل وردة فعله لدى سماعه للخبر، وبأنه تم العمل على تهدأة روعه لكون القضية أصبحت في عهدة القوى الأمنية،وأن العدالة ستأخذ مجراها، وسيتم الاحتكام إلى القضاء، خصوصاً أن تقرير الطبيب الشرعي أثبتَ حالة الاعتداء، وتم توقيف الثلاثة والتحقيق معهم. تتابع الصحافية الخبر فتقول: في المخفر، زارَ المختار المعتدين الثلاثة، وشرح لـ«النهار» أنه «لم يتم التعرض لهم بالضرب من القوى الأمنية، كان اثنان منهما في غرفة واحدة، والثالث مكبل اليدين في غرفة أخرى، وقد أعربوا عن ندمهم عما حدث، ولم يكونوا يقصدون ذلك».

بعد التلميحات التي أوردتها شبارو والتي تتضمن مواقف سياسية، تعود إلى الطفل الضحية لتخبرنا على لسان قريبه أن وضعه النفسي جيد و»يتصرف بشكل طبيعي، ويذهب الى المدرسة كعادته». وأنه من غير الممكن إسقاط الدعوة حتى ولو تدخلت فاعليات البلدة. تدع المراسلة الرسائل التي ضمنتها في المعالجة جانباً وتلجأ الى اختصاصية علم النفس العيادي التي لفتت إلى ضرورة معالجة الطفل نفسياً لإخراج المشاعر التي عايشها منه، وإلى أن «المعتدين جنسياً على الفتى سبق أن تعرضوا لشذوذ معين، فبالتأكيد لم ينشأوا في بيئة سليمة»، واضعة اللوم على الأهل «لكونهم المراقبين الأساسيين»، ورافضة اعتبار وفاة الوالد وطلاق الأهل سبباً للتفكك الأسري، وكما قالت «نحكم على التربية». كذلك تلجأ شبارو إلى الدكتورة منى فياض، فتشير إلى أنّ المعتدين «بحاجة إلى علاج نفسي أكبر، ولا يمكن وضعهم في مكان عقابي فقط، بل يجب احاطتهم بعناية نفسية كي لا يتحوّلوا إلى مجرمين، أما المعتدى عليه فيحتاج إلى رعاية ومتابعة من طبيب نفسي وعناية من أهله، مع عدم معايرته من أصدقائه، عندها تكون حظوظه في تخطي الحادث كبيرة».ولفتت إلى أنه «يجب توعية الولد على ضرورة عدم الذهاب مع من هم أكبر سناً منه وإبلاغ عائلته عن أي

احتكاك جسدي لا يرتاح إليه من أي كان. وفي ما يتعلق بقضية ب. يجب أن يتابع الأمر مع المدرسة من خلال نقاش تربوي موجه له طابع نفسي لا لفلفة الموضوع... ولا تكبير القضية، أي عدم إهمالها في الوقت عينه». وشرحت فياض أن «التفكك الأسري وغياب الرقابة على الأولاد والعنف المتفشي في المجتمع، بالإضافة إلى الإعلام الذي يبث أنواع العنف على غاربها، تزيد هذه الحالات». وأضافت: «في المجتمعات المسالمة نجد حالات اغتصاب، لكن ليس بهذه الطريقة العنيفة التي تصل الى حد التخطيط لقتل الضحية، بل تكون على شكل تحرش جنسي مبطن، مما يجعل الضحية كأنها في وضع المتواطئ مع المعتدي». «واحد من عشرات، بل مئات الأولاد الذين تعرضوا ويتعرضون لاعتداءات جنسية يومية، لكن معاناتهم لا تزال سجينة جدران غرفهم، مكبّلة بـ«تابوات» مجتمع شرقي يعتبر الخوض في هذه الروايات اعتداء على شرف العائلات».

غمزت هذه المعالجة من قناة حزب الله، ولمّحت إلى تعاطف مختار البلدة مع أحد الموقوفين، فزارهم واطمأن عليهم بأنهم لم يتعرضوا للضرب، مصرحاً أن إثنين منهم في غرفة واحدة، وثالث مكبل اليدين في غرفة على حد تعبيره (الأرجح أنه السوري).غيرأن إقحام الصحافية المواقف السياسية على موضوع يخص الطفولة لم يمنعها من الأخذ برأي الأكاديمين والمختصين الذين شددوا على التوعية وعلى ضرورة المعالجة النفسية للمرتكبين وللضحية.

تحقيق سلوى بوشقرا في «النهار» تحت عنوان « ما تقطفها قبل وقتها « اقتراح قانون يواجه الزواج المبكر...هل يقر؟[٤٢] على خلفية بوستر تظهر فيه طفلة كئيبة بثوب الزفاف تحمل دميتها وخلفها رجل ضاحك يتمدد على السرير الزوجي.» تستهل الصحافية الموضوع بالقول :« زغيرة ممنوع تظهر لوحدها بلا إذن « «زغيرة ما فيها تسافر من دون ولي أمر «، زغيرة بحاجة إلى وصي»، زغيرة ما فيها تنتخب» عبارات شعبية غالباً ما نسمعها على لسان اللبنانيين الذين يعتبرون أن أولادهم غير مؤهلين للقيام بمسائل عدة بالنظرإلى صغر سنهم، بينما يزوج البعض أولادهم في إزدواجية معايير واضحة جداً ومليئة بالتناقضات. وإذا كانت الطوائف في لبنان تتحكم بتفاصيل حياتنا يسعى المجتمع المدني جاهداً إلى تغيير بعض المفاهيم السائدة البالية التي تخطاها الزمن ولم تعد صالحة وأهمها شرعنة تزويج الأولاد. الوعي موجود لدى فئات عدة، فيما تتلطى أخرى

٤٢ سلوى ابو شقرا ، النهار ٣٠ آذار ٢٠١٧

خلف العادات والتقاليد والأديان، في حين لا يمكن للحملات التوعوية وحدها الحد من هذه الظاهرة دون روادع قانونية. من هنا كان اقتراح القانون الذي يهدف إلى حماية الأطفال من «التزويج المبكر» الذي أعده في الأساس التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني وتقدم به النائب إيلي كيروز إلى مجلس النواب .

تنتقل بعدها ابو شقرا الى عرض نص اقتراح القانون، ومن ثم إلى الحديث مع النائب كيروز الذي اعتبر أن الزواج المبكر انتهاكاً للطفولة، مشيراً أنّ هناك توجهاً عالمياً إنسانياً يطالب الحكومات بتحديد السن القانونية للزواج ب ١٨ سنة. وتتحدث مع المسؤولة الإعلامية في التجمع النسائي الديمقراطي حياة مرشاد لتخبرها عن المسار الذي اختطه هذا الاقتراح وعن علاقته باتفاقية حقوق الطفل الموقعة عليها الدولة اللبنانية. واخيراً تضع ابو شقرا الموضوع في السياق اللبناني الكفيل بفك ملزمة أي قضية ممكن ان يتلاقى حولها ما يسمى بالرأي العام. فتخبرنا،تحت عنوان فرعي (الجدالات اللبنانية لاتتوقف)، كيف تحولت هذه الحملة التي أطلقها التجمع النسائي الديمقراطي وحمل رايتها حزب «القوات اللبنانية» إلى هاشتاغ «ما تقطفها قبل وقتها» أثار جدلاً عبر مواقع التواصل الاجتماعي. توزعت آراء رواد «تويتر» و»فايسبوك» بين مرحب بالفكرة ومستفز من صيغة الشعار، فيما البعض الآخر غيّر مسار الحملة محاولاً تشويه المفهوم الأساسي الذي سعت الجمعية للعمل عليه وأضفى إليها منحى سياسياً. ليأتي الرد مذيّلاً بصورة جيهان فرنجية واستبدال كلمة ما بكلمة ليش في رسالة الى سمير جعجع بالقول: جيهان فرنجية ليش قطفتها قبل وقتها.

بالمقابل، تناولت جريدة «الأخبار»موضوع الملصق، تحت عنوان: القوات «جربت» الاتجار بالأطفال»[٤٣] قائلة: بعد الضجة التي أحدثتها صورة إعلان القوات اللبنانية عن الزواج المبكر، سحب رئيس الهيئة التنفيذية سمير جعجع الصورة من على حسابه الشخصي على تويتر بعد أقل من ٢٤ ساعة على نشرها. الإعلان الذي يتسم بكثير من السذاجة، يصوّر الطفلة على أنها وردة، وعلى من يرغب في الزواج بها أن ينتظر لحظة» القطاف». أضحى هذا الإعلان حديث الساعة أمس بين الناشطين/ات ودار نقاش حول مدى العنف الذي تتضمنه الصورة من التصميم والفكرة والتنفيذ تحت عنوان «نعم لقانون حماية الأطفال من التزويج المبكر». إذن سحب جعجع الإعلان من على صفحته، تمهيداً

٤٣ الأخبار ، الاربعاء ٢٩ آذار ٢٠١٧

ربما لتعديله بعد حجم القصور الذهني والفكري وحتى الإنساني الذي ظهر فيه. في هذه الأثناء خرج إعلان مضاد لا يقل إساءة إلى القضية الاجتماعية – الإنسانية المتداولة: زواج القاصرات. نشرت صفحة « التنسيقية» على فايسبوك صورة لجيهان فرنجية شقيقة الوزير السابق سليمان فرنجية، والتي قضت في مجزرة إهدن التي أدينت بها «القوات اللبنانية». ظهرت صورة الطفلة في هذا المنشور وإلى جانبها عبارة: « جيهان فرنجية، ليش قطفتها قبل وقتها»، مذيلاً بدعوة إلى محاكمة المجرم». وتنهي الصحيفة بالقول:«إذن فضلاً عن المشاكل التي يعانيها طرح « القوات» الإعلاني، أدخلت قضية التزويج المبكر إلى حلقة تراشق لا تمت للقضية بصلة، بل تتعلق فقط بتصفية الحسابات السياسية. !

في هذه المعالجة المستندة إلى ملصق يناهض التزويج المبكر، استحضرت ابو شقرا من جريدة «النهار» الثقافة المجتمعية، والقانون، والمجتمع المدني وأحد النواب الحزبيين، وشبكات التواصل، والصراعات السياسية، وأضافت المعالجة في جريدة الأخبار عنصر الإعلان، وتصفية الحسابات السياسية التي حوّرت الانتباه عن القضية الأساسية.

تناول صحيفة « العربي الجديد» لقضية التحرش بالأطفال داخل دور الرعاية:

توقف عمر قصقص، تحت عنوان: «الإعلام اللبناني يخرق «التابو»: لا للتحرش بالأطفال « في صحيفة «العربي الجديد»[٤٤] أمام قضية التحرش بالأطفال داخل دور الرعاية بالأيتام. التي فجرها الشاب طارق ملّاح، عندما كشف أنه قبل عقد ونصف من الزمن، وعندما كان طفلاً في أحد دور الأيتام الشهيرة في لبنان، تعرّض لتحرّش جنسي من قبل أولاد أكبر منه سنّاً. وأكّد أن عدداً كبيراً من الأطفال واجه الكابوس نفسه، لكن أحداً لم يتجرأ على الكلام. والأسوأ بحسب ملاح أن إدارة الدار كانت تعلم بما حصل، ولكنها فضلت السكوت، وعدم تأمين الحماية للأطفال. ذاكراً أن الموضوع تحوّل إلى قضية إعلامية،عندما أطلّ طارق على أكثر من قناة، ليتحدّث عن مأساته، وفتح الباب أمام قضايا مشابهة في دور رعاية أخرى. هكذا أثارت الإعلاميّة ريما كركي في برنامجها الأسبوعي «للنشر» على قناة «الجديد» قضيّة تحرّش واغتصاب أطفال في دار أخرى من قبل سائق الباص الموظف لدى الدار منذ سنوات، حيث تحرّش ولمرّات عدّة بأطفال الدار المتواجدين في قسم واحد، ولم يلاحق قانونياً بل عملت المؤسسة على طرده. وأيضا أثار جو معلوف في برنامجه «حكي جالس» على قناة

٤٤ ٢٨ juillet ٢٠١٥ , www.alaraby.co.uk

LBCI قضية طارق ملاح، مسمياً الدار بشكل مباشر، ومتهماً إياها بالتواطؤ والتقصير. وأعاد معلوف فتح الملف مرة أخرى، من خلال تقرير بعنوان «أهلاً وسهلاً بكم في دار الأيتام الإسلاميّة دار الاغتصاب دار الرياحين». بالإضافة الى شهادات الأطفال الضحايا وذويهم؛ والذين شرحوا معاناتهم من الاغتصاب وتداعيات ذلك على الصعيد النفسي والجسدي. وأشار معلوف خلال الحلقة إلى أنّ المتورّطين بتلك العمليّات لم يلاحقوا قانونيّاً تحت غطاء مذهبي أو طائفي. على أثر ذلك، انهالت الاتصالات على الهواء من قبل العديد من الأشخاص الذين تعرّضوا لشتى أنواع العنف والتحرّش داخل هذه الدار، وأدلوا بشهاداتهم. أشعلت قضيّة طارق من جديد مواقع التواصل الاجتماعي تضامناً معه، وتعبيراً عن سخطهم من ردّة فعل وزير الشؤون الاجتماعيّة رشيد درباس الذي صرّح لإحدى الصحف اللبنانية أنه يجب على «طارق ملاح أن يستر عورته».

بعدها انتقل قصقص للحديث مع زينة علوش المديرة التنفيذيّة لجمعيّة «بدائل» التي أعلنت عن عدم موافقتها على تدخّل وسائل الإعلام بتلك القضايا؛ وذلك لأنّ مقدمي البرامج ليسوا أخصائيين اجتماعيين، وليست لهم دراية بمعالجة مثل هذه المواضيع؛ فظهور طارق على الإعلام، ومطالبته القيام بمظاهرة أمام الدار يخالف القانون. ومن ثم تحدث مع المحامي عصام سباط؛ الناشط في مجال حقوق الإنسان، الذي أكّد أنّ «الموضوع يتناول شقّين؛ وهما الشقّ النفسي وآثاره على الطفل وذويه؛ وذلك أمر حتمي، وشقّ قانوني». ويضيف «عندما تُطرح مثل هذه القضايا على الإعلام، وتتحرّك بدورها النيابة العامة؛ فقضيّة طارق ممنوع تناولها إعلاميّا الآن حتى انتهاء التحقيق، وصدور الحكم المناسب بذلك». ويختم بالحديث مع الملاح الذي قال : «لا أعتقد أن ظهوري في الإعلام سيؤثر على مستقبلي، ولو أثر لا يهمني، فاليوم همي الوحيد إنقاذ الأطفال الذين يتعرضون للاغتصاب في دور الرعايا، وآخر همي ما يفكر به المجتمع اللبناني».

في هذه المعالجة التي طرحت إشكاليات المعالجات الإعلامية وحدودها، وإشكالية التستر على الانتهاكات بحق الاطفال وعدم الملاحقة القانونية تحت عناوين مذهبية وطائفية. استحضر قصقص الحملات الاعلامية في محطات التلفزة، القانون، شبكات التواصل الاجتماعي، الناشطون الحقوقيون، الضحايا، الوزير، دور الرعاية. وانهاها بجرأة الضحية التي لم تعد ترى في الظهور الإعلامي تأثيراً على مستقبلها ما دام الهم إنقاذ الاطفال وليس ما يقوله المجتمع .

معالجة صحيفة «القدس العربي» لجريمة اغتصاب ثلاثة شبان لقاصر في طرابس: تناولت الصحافية زهراء مرعي من صحيفة «القدس العربي» بالنقد اللاذع طريقة تعامل الإعلام اللبناني مع هذه الحادثة. تحت عنوان : «تعامل الإعلام اللبناني مع جريمة الاغتصاب في طرابلس معيب وغير مسؤول- يحاكم الناس ويبريء «السيستم» ونشرات الأخبار صحافة صفراء «،[٤٥] قائلة : في كل مرة، سواء كان الحدث إنسانياً أو أمنياً ترانا نُصدم بما نراه ونسمعه من انتهاك فج للمهنية ولحقوق البشر. لقد شطب الإعلام كافة المبادئ من قاموسه، حطّم المعايير، ليس من محرم بالنسبة له. وفاق في ابتذاله كل متوقع. هو حال غالبية الشاشات، حيث تحولت نشرات أخبارها للبحث عن المثير، وليس عن الفعل السياسي أو الإقتصادي المؤثر في حياة الناس عامة. فمنذ مساء الأحد الماضي وحتى اللحظة ما زال الناس يتداولون كيف تناولت وسائل الإعلام المرئية مأساة اغتصاب قاصر في طرابلس من قبل ثلاثة مجرمين. وكيف سارع هذا الإعلام لنشر الأسماء بمن فيهم اسم الضحية ووضعها العائلي مع نسج تفاصيل عن حياتها. دخلت الضحية مع عائلتها في مأساة نفسية لا يعرف متى تنتهي، وزاد الإعلام من تفاقم حالها حتى عندما لحقها إلى عقر دارها ليصور صوتها وهي تدير ظهرها للمشاهدين. وبغرض تفهم هذه الحالة التي يعاني منها الإعلام اللبناني.سألت مرعي الأستاذة الجامعية نهوند القادري لتجيبها أن الإعلام بمقاربته للموضوعات الصادمة غالباً ما يُحمِّل المسؤولية في القضايا الإنسانية للناس أنفسهم مبرئاً «السيستم». فغالباً ما توحي المعالجات الإعلامية أن هؤلاء الناس بطبيعتهم شريرين،ما يوصل المشاهد للإقتناع بأن الناس هم موضع الخلل، و«السيستم» الحاكم بريء. كذلك تسأل مسؤولة الإعلام في جمعية «كفى عنفاً واستغلالاً» مايا عمّار فتقول: «طريقة تعاطي بعض الإعلاميين مع جرائم الإغتصاب والتحرش مخيبة للأمل. وعندما يكون الموضوع متعلقاً بجريمة اعتداء على امرأة وبخاصة عندما تكون جنسية، نجد من السهل على الإعلاميين الجنوح نحو الإثارة وما يُسمّى «سكوب». نحن نتوقع من الإعلاميين احترام خصوصية الضحايا وهذا ما نعتبره أبسط مبادئ العمل الإعلامي، وذلك حفاظاً على سلامة الضحية أو الناجية التي تعتبر أهم من أي «سكوب» دون شك. وكون الصحافي إنساناً يجب أن يكون هذا الأمر من أهم هواجسه. للأسف هم لم يحترموا هذه الخصوصية، بل زادوا عليها في الدخول إلى تفاصيل الحياة الشخصية.

٤٥ زهراء مرعي ، القدس العربي، ١٨ تموز ٢٠١٦

في الواقع نحن ننظر إلى الإعلاميين كشركاء ونتمنى لو يحسنوا أداءهم وأن يحترموا مبادئ حقوق الإنسان. أن يتقبل الإعلامي النقد أمر ضروري. كذلك تتحدث مرعي مع الإعلامي زافين قيوميجيان الذي يجد «أن مجموعة من الإعلاميين تتعامل بفجاجة مع الموضوعات الإنسانية، وهم يبنون حكايات وقضايا من لا شيء. هم يهدفون للإثارة المبنية على مشاكل وأوجاع الناس. المؤسف جداً أن هذه الفجاجة في القضايا الإنسانية تصدر من منابر محترمة كما نشرات الأخبار.. فقدت نشرات الأخبار المسؤولية بالكامل في تعاملها مع حادثة اغتصاب الطفلة في الشمال. تخلت عن وقارها وصارت صحافة صفراء. تلك الصحافة كانت قائمة على أخبار النجوم قديماً، لكنها فجأة صارت قائمة على أخبار المواطنين العاديين.

بعدها تستعرض مرعي أداء وسائل الإعلام فتقول: بدأت الأخبار ترد على هواتف اللبنانيين مساء الأحد ١٠ تموز. تحركت المحطات التلفزيونية صباح الاثنين. الـ mtv كانت أول الوافدين. تناست مراسلتها جويس عقيقي أخلاقيات المهنة وقواعدها مقابل حصولها على السبق. كشفت الأسماء الكاملة، صوّرت مكان وقوع «الجريمة»، نقلت معلومات مغلوطة وأكدّت أخيراً في رسالتها المباشرة أنها ستستعى للحصول على مقابلات مع أهل الضحية وأهل المشتبه بهم، واعدة المشاهدين بسكوبات إضافية خلال النشرة المسائية. في النقل المباشر الصباحي، نقلت عقيقي عن «مصادر أمنية رفيعة» خبراً مفاده أن جدّ الفتاة تعرض لنوبة قلبية دخل على إثرها إلى المستشفى. في التقرير المسائي، تنفي عقيقي «الاشاعات» وتحصل على مقابلة مع الجد. في الصباح أيضاً، تتردد عقيقي إلى الشقة، «موقع الجريمة». تفيد بأن الشقة تعود الى خالة أحد المشتبه بهم. الخالة خارج لبنان وعقيقي تكشف عن هويتها الكاملة. تتحدث أيضاً إلى عمّة الفتاة. هذه الأخيرة كانت قد اصطحبتها إلى عيادة الطبيب. فوالد الفتاة يعمل خارج لبنان فيما والدتها متوفاة، دائماً بحسب عقيقي. تسأل هذه الأخيرة العمّة عن معلومات حول تناول الشبان «حبوب هلوسة». لا تؤكد العمّة الخبر. لكن عقيقي حسمته، بناء على «مصادرها» مرة أخرى. تنتقل عقيقي إلى منزل الشاب الذي «لم يحتمل قلب والدته خبر اغتصابه قاصراً فتوّقف عن النبض بعد ساعة على النبأ المشؤوم». تقابل شقيقته. يركز المصور على وجهها وهي «تبكي الأمرّين». ثمّ تفتح عقيقي الهواء للشقيقة المفجوعة لتنهال بالاتهامات

على الفتاة. «لو ما برضاك ما بتطلعي على الشقة»؛ «معروفة انها على علاقة مع أحدهم». يرد اسم الشاب كاملاً. تحسم عقيقي النتيجة. «ابتسامة» الفتاة «لن تعود وإن عادت فلن تعود كما قبل». تترك للقضاء دور الحكم في القضية. غفل عن عقيقي أنها أصدرت حكمها في التقرير وبالتالي شكلت مصدر ضغط على القضاء والجهات المعنية متابعة التحقيقات في القضية. وتعلق مرعي بالقول: بدأ إذاً الإعلام بصياغة الحبكة وإضافة المكونات التي تسمح بجذب المشاهدين. يورد المعلومات دون أن يتأكد من صحتها. الأولوية هنا للسبق والإثارة. من يسأل عن الدقة والحقيقة عندما يكون السباق مركزاً على حصد أعلى نسبة «رايتينغ». في أسوأ الأحوال، يصدر نفي للخبر. فالشائعات في البلد كثيرة والإعلام حريص على نقلها جميعها بدل أن يحرص على تصويب الخطاب.

توجهت معدة التقرير على قناة «otv» لارا الهاشم إلى عيادة الطبيب النسائي الذي كان أوّل من كشف على الضحية،فاسترسل هذا الأخير بوصف حالة الفتاة الجسدية.: «الشرج وغشاء البكارة والحلمتين». « قائلاً : «مع الأسف، اتضح لي انه ممارس معها الجنس كتير كتير كتير». كذلك نشرت القناة صور الشبان المشتبه بهم، وأوردت الاسم الأول لكلّ منهم، إلا أن الهاشم كشفت لاحقاً اسم عائلة الشاب المشتبه بتأمينه الشقة لأصدقائه. بعدها استطلعت مراسلة المحطة رأي بعض النساء في ضهر العين حول القضية، مبدية حرصها على مستقبل الفتيات في البلدة ، فسألت: «عندك بنات؟ صرتي تخافي عليهن زيادة؟». حاولت بعدها مقابلة أحد افراد عائلة الشاب الذي توفيت أمّه جراء ذبحة قلبية فور سماعها الخبر. التقطت الكاميرا تفاصيل ورقة النعي، فسمحت بالتالي بكشف معلومات إضافية حول العائلة. أصرت الهاشم على إجراء المقابلة. «بس سؤال واحد» قالت لأحد الأفراد خلف الباب الموصد بوجهها، متجاهلة تماماً حالة الصدمة التي تعيشها العائلة. ورغم كشفها جميع المعلومات المتعلقة بالشبان، أكدت الهاشم في الختام أن «كل المعلومات المتداولة تبقى في إطار الشبهات».

من جهتها، تفرّدت قناة «الجديد « بمقابلة مع الضحية التي أدارت ظهرها للكاميرا ، غير آبهة إن كانت حالة الضحية النفسية تسمح لها بالظهور على الإعلام، أو التحدث عمّا جرى. المهمّ أنّ المراسل تفوّق على زملائه وحصل على المقابلة. تروي الفتاة تفاصيل ما جرى معها. ينتقل المراسل إلى عيادة الطبيب الذي يؤكد مرة أخرى أنه «انصدم

لأن منفعل فيها كتير كتير». لا يذكر المراسل أسماء المشتبه بهم أو الضحية، ويحرص على تغطية وجوه الشبّان، ويختم ناقلاً روايتين عن القضية، الواحدة تدحض الأخرى. يركز على تقرير الطبيب الشرعي «المتنازع على مضمونه» ويترك للتحقيقات كشف حقيقة ما جرى للرأي العام.

حاولت « ال.بي.سي» احترام المعايير المهنية. فاكتفت بالإشارة الى الأحرف الأولى من أسماء المشتبه بهم والضحية فيما غطت وجوههم، قابلت معدّة التقرير ريمي درباس سليمان الطبيب الذي كرر أقواله. أضحى هذا الأخير الذي لم يبخل بالتفاصيل نجم تقارير نشرات الأخبار والمصدر الأول للمعلومات. حرصت المراسلة على نقل وجهة نظر المشتبه بهم الذين أنكروا الجريمة المنسوبة إليهم. أمّا في ما خص الشقة المستخدمة، فتضاربت معلوماتها مع تلك التي نقلتها مراسلة الـ «mtv»(تبعاً لها، الشبان استأجروا الشقة وهي لا تعود إلى أحد أقربائهم).تختم القناة تقريرها بانتقاد الأداء الإعلامي الذي رافق القضية، لاسيما أن التحقيق «لا يزال في بداياته». وقد حرصت القناة أيضاً على التحدث إلى إختصاصيات في علم النفس والاجتماع. بغية إيضاح فعل الاغتصاب وتبعاته النفسية على الضحية. وفي هذا السياق،نقلت الـ ال.بي.سي. ضمن نشرة أخبارها في ١٢ تموز معلومات تنفي كلّ ما جاء ضمن نشرات الأخبار المحلية، معلنة أن والد الفتاة في لبنان. أمّها على قيد الحياة. وهما منفصلان، وأن الفتاة أنكرت خلال التحقيق تعرضها للاغتصاب وأكدت أن ما قامت به كان لحماية نفسها من ردّة فعل العائلة عندما كشفت علاقتها بالشبان.

وتختم مرعي تحقيقها بالقول: لا بد هنا من مساءلة جدية للدور الذي لعبه الإعلام خلال الأيام الثلاثة الأخيرة. فالقنوات المحلية تكرر مرة تلو الأخرى الأخطاء ذاتها. الانتقاد يطالها عند كل محطة مفصلية وقلة قليلة تراجع نفسها وتحرص على تفادي الزلات. فها هي اليوم مرة جديدة تنتهج الأسلوب الفضائحي بغية تحقيق أعلى نسب مشاهدة. تكشف هويات المعنيين في القضية فيما لم تصدر نتائج التحقيق الأولي. تضرب بالمعايير المهنية عرض الحائط عندما تنقل معلومات مغلوطة أدّت في ٢٤ ساعة إلى تدمير حياة أربعة عائلات ووفاة شخص. تحرص الرأي العام وتشبع رغباته بدل أن تحرص على تصويب الخطاب لا سيما أنه يرتبط بقضية حساسة كالاغتصاب. إذ لم تتطرق أية قناة إلى القانون

اللبناني والمادة ٥٢٢ من قانون العقوبات تحديداً، التي تعفي المغتصب من العقوبة في حال تزوج ضحيته. وباستثناء الـ ال.بي.سي.، لم تأتِ أية وسيلة إعلامية على ذكر قوانين الأحوال الشخصية التي تشرع العلاقة الجنسية مع القاصرات حين تسمح بزواجهم وتجرّمه اذا أتت العلاقة خارج إطار الزواج. تفضي هذه الواقعة إلى استنتاج واحد. لا يهتمّ الإعلام المحلي بالمضمون الذي ينقله إلى الرأي العام. التشهير حق حتى إذا كانت المعلومات غير دقيقة. لا يكترث الإعلام لكرامات الناس وحرمة العائلات ما دامت نسبة المشاهدة ترضي السياسة التحريرية للمحطة.

بالمحصلة، حاولت مرعي في هذا التحقيق المعمق أن تطرح إشكالية الدور الفضائحي الذي غدت تمارسه محطات التلفزة في لبنان، وتطفل الإعلامي على أدوار ليست من اختصاصه ليلعب دور القاضي والمحقق والواعظ، وهذا ما يحور الموضوع المطروح. وكان أن استحضرت في معالجتها هذه محطات التلفزة، شبكات التواصل الاجتماعي، الأكاديميين، منظمات المجتمع المدني، الإعلاميين، القانون، الطبيب الشرعي. وتوقفت معدة التحقي عند الأداء المرتبك والمتباين لمراسلي محطات التلفزة إزاء موضوعات معقدة وصادمة اجتماعياً وإنسانياً على حد سواء، لها امتدادتها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية والقانونية الواقعة تحت عنوان السياسات العامة حول الطفولة، على سبيل المثال، هل انتهاك خصوصية الفتاة الجسدية أمر مباح قانوناً؟ وهل القانون وآداب المهنة تبيح للطبيب الشرعي عدم احترام خصوصية المريض من خلال الإدلاء بمعلومات للإعلام أو لأي شخص غير معني مباشرة بالقضية. وهل مسموح لأي كان تحقيق النجومية وكسب الشهرة ومضاعفة أعداد المشاهدين على حساب حقوق الإنسان الطبيعية.

قضية الطفل حيدر ٣ سنوات، الذي فقد والديه وسقط جريحا في أحد التفجيرات الإرهابية التي استهدفت الضاحية الجنوبية من بيروت في ١٢ نوفمبر/تشرين الأول ٢٠١٥. كان الظهور الأول لحيدر أثناء بث مباشر لقناة «المنار» من مستشفى «الرسول الأعظم» في الضاحية الجنوبية. دخل المراسل علي رسلان غرفة حيدر، معرّفاً المشاهدين به، وعلى مسمعه قال: إنّ «حيدر فقد والديه في التفجير». وما إن القى السلام عليه قائلاً : كيفك؟ منيح؟ نسمع همس الأقارب له: قلو شو صار معك عشان بخلينا نفل «قلو مين عمل

فيك هيك؟. يجيب: «الانفجار». شو كمان عمل الانفجار؟ يقول قوي؟ وبابا وماما وينن ؟ (غير واضح من طرح هذا السؤال عليه المراسل أم الأقارب). يجيب حيدر: بالسيارة بعدن (أي أهله). يضيف المراسل (وعلى مسمع الطفل): ربما لا يدري حيدر أنّ والديه استشهدا في هذا الانفجار. ترد المذيعة من الاستديو بالطلب من المراسل التحدث إلى أحد أقارب حيدر، فيسأل المراسل سيدة من أقاربه «هل استشهد والديه»، فتقول«نعم شو بدك تعرف بعد»، وتنهمر دموعها قبل أن يغادر المراسل غرفة الطفل.

بعد بثّ هذا الفيديو تعرّض مراسل المنار لانتقادات عديدة، لاستغلاله قصة حيدر لتسجيل سبق صحفي والتقاط لحظات مؤثرة من دون مراعاة مشاعر الطفل الجريح. لكن مراسلين كثر ذهبوا إلى حيدر لاستجوابه. على سبيل المثال، كتبت أسرار شبارو في جريدة النهار في اليوم التالي للتفجير. تحت عنوان «النهار» تلتقي الجرحى... شبح الموت مّر من هنا. نقل عن حيدر قوله: طلع انفجار كتير قوي، ماما احترق وجها وبابا نزلو الدم، هني بعدن بالسيارة وانا جيت لهون».

لم تنته قضية الطفل حيدر عند تغطية الإعلام لإصابته، بل تم التوقف عند رفض الطفل خلع بدلة الرياضة التي كان يلبسها لحظة الانفجار وهي ترمز إلى «ريال مدريد». وهكذا عاد حيدر إلى الأضواء مرة أخرى، نتيجة تفاعل بعض وسائل الإعلام مع حملة انطلقت على «تويتر»، مطالبة نجم كرة القدم في فريق ريال مدريد كريستيانو رونالدو بلقاء الطفل حيدر. انطلقت الحملة تحت عنوان:«كريستيانو قابِل حيدر». ولكن على المقلب الآخر ثارت ضجة تتحدث عن استغلال حيدر وقصته للوصول إلى النجم العالمي. اللافت أنّ وسائل الإعلام انتقد بعضها البعض الآخر إزاء هذه القصة، فعلى سبيل المثال كتبت زينة برجاوي في صحيفة «السفير»، في ٢٠ تشرين الثاني٢٠١٥ تحت عنوان «مصادر كريستيانو رونالدو: حلّوا عن حيدر!» في ظل تسابق المواقع وصفحات «فايسبوك» على جذب «اللايكات» بنشر صوره بقميص ريال مدريد، بحجّة التضامن معه. ولم تعد صورة حيدر مع والديه الشهيدين هي الحدث، بل استُبدلت بصورته وهو يلعب الكرة، وإلى جانبها صورة للاعب البرتغالي».

وهكذا انتهكت خصوصية الطفل، وتهافتت عليه الاستجوابات دون استئذان، وانتشرت صوره في مواقع التواصل الاجتماعي من دون علمه، وتم تحوير قضيته من طفل

جريح فقد والديه أمام ناظريه إلى طفل يريد أن يلتقي نجم كرة القدم . أي أن الإعلام لم يتورع عن استغلال الطفل لتحقيق سبق صحفي من ناحية ، ولتوجيه رسائل سياسية من ناحية ثانية. وهنا تمت أعلمة القضية مباشرة من أرض الحدث دون أن يتوفر من يعمل على تحديدها ولا على تأطيرها ولا تبريرها .

حادثة اغتصاب طفل: في ١١ آب ٢٠١٦ انتشر خبر عن اغتصاب طفل في الحادية عشر من عمره في بلدة مجدليا- قضاء عاليه في جبل لبنان. بدأت المواقع الإخبارية الإلكترونية بنشره تحت عنوان: تفاصيل اغتصاب طفل في مجدليا. عنونت جريدة الديار: أقدما على إغتصاب طفل في عاليه.. وهذه التفاصيل».. نشرت قناة ال MTV تفاصيل الحادثة في نشرتي أخبارها الصباحية والمسائية، معتبرة أن ما حصل هو «جريمة من نوع آخر»، وقالت المذيعة « وفي التفاصيل أنّ...»، مركزة على جنسية الفاعليْن. واللافت أنه على الرغم من حلول التفاصيل بالدرجة الأولى بالنسبة لمحرري هذا الخبر، إلا أنه وقتذاك لم يرد في الخبر تفاصيل سوى أنّ المغتصب سوري الجنسية. بالمقابل، غاص رمزي مشرفية مراسل جريدة النهار في التفاصيل، فكتب تحت عنوان : «في مجدليا... قاصران يعتديان جنسياً على قاصر» : لا يكاد يمضي نهار إلاّ ونسمع بجريمة هنا وجريمة هناك، إلاّ أن الجرائم تتنوع وربما بات القتل من الجرائم العادية التي تشهدها معظم البلدان إلا أن الجرائم المروعة التي يرتكبها وحوش بأجساد بشرية هي التي تبقى الأفظع: الإعتداء الجنسي، الإغتصاب، إغتصاب القاصرين. كلها عناوين لمجازر تُرتكب يومياً بحق الإنسانية تتحدّى القيم الأخلاقية وكل الأعراف والأديان السماوية».[٤٦] وانتقل ليصف لنا كيف حصلت الحادثة، وكيف انتقل الخبر من الصبية إلى أهل الطفل، وكيف أنها ليست المرة الأولى. المهم أن وسائل الإعلام باعتمادها أسلوب الاستهجان والاستنكار، وبتوقفها أمام تفاصيل تظنّ أنها مثيرة تشدّ القراء والمشاهدين للمتابعة، وتوحي من خلالها إليهم بأنها شاهدة على الحدث، لم ولن تتمكن من فتح آفاق لمعالجة جادة . إذ كان لافتاً ما أسرّه أحد أقرباء الطفل الذي كان تتصل به وسائل الإعلام لتغطية الحادثة، لأحد الصحافيين بالقول : إنّ هذه الوسائل انقسمت بين من يبحث عن الدراما والدموع، فإذا لم يلتق المراسل الأم ولم تذرف الدموع يعتبر نفسه «ما عمل شي»، بينما استخدمت الوسائل الأخرى الحادثة للغمز من قناة اللاجئين السوريين. وفي كلا الحالتين لم تهتم الوسائل الإعلامية لقضية

٤٦ جريدة « النهار» ١١ آب ٢٠١٦

الطفل وما حدث له، ولما يمكن أن يقدّم له من دعم نفسي. ما يعني أن هؤلاء بنشرهم للتفاصيل انتهكوا خصوصية الطفل الضحية من اجل كسب مزيد من القراء والمشاهدين، وخدمة لسياسات الوسائل التي يعملون لديها. إنها المعالجة المسماة طرفية التي تدور حوالي الموضوع ولا تغوص في صلبه، والتي تتسم بقابليتها للتبخر السريع لاحقاً.

حادثة «خطف والدة لطفليها»: اهتمت القنوات اللبنانية بحادثة خطف أم استرالية لولديها اللذين يعيشان في لبنان مع والدهم اللبناني، وهما الطفلين هالا (٦ سنوات) وشقيقها نوح علي الأمين (٤ سنوات) من منطقة الحدث-السان تيريز. وانهمك المراسلون في إعداد تقارير عن الخطة البوليسية التي حبكتها الأم مع فريق تلفزيوني استرالي لخطف ولديها. ظهرت في معظم التغطيات صور الطفلين في حين غابت صور الخاطفين وصورة الأم. فأشارت التقارير التلفزيونية إلى المتهمين مستعملة الغرافيكس وأحيانا الأحرف الأولى من أسمائهم. وتركزت التغطية الإخبارية لهذا الموضوع على أين؟ وكيف خططت الوالدة لخطف ولديها. واختلف تعامل وسائل الإعلام مع هذه الحادث، فمنها من ركز على الدخول في تفاصيل مشاكل العائلة، بما يثير فضول المشاهدين . ومنها من ركز على المتهمين موجها لهم انتقادات قاسية، فعنون أحد المواقع الإخبارية الالكترونية: «أزمة لبنانية – استرالية: فريق تلفزيوني أم مافيا؟». وكان لافتاً أنّ مجلة «لها» عنونت التالي: «حضانة الأولاد... مأساة تصيب الثلاثة: الأم والأب والأولاد».

اعتمدت غالبية وسائل الإعلام على تجزئة الخبر وعلى تحويله إلى تفاصيل ولم تطرح قضية حضانة الأطفال، كما لم تحترم خصوصية الصور التي انتشرت على التلفزيونات والمواقع الاخبارية، فوجد الأطفال أنفسهم حديث كل البلد بعد أن حاولت الأم استرجاعهما.

حادثة تعرض طفل للضرب بوحشية: في تاريخ ١٩ آذار من العام ٢٠١٦ أظهر فيديو نشرته وسائل الإعلام الأب ينقض بوحشية على الطفل مستخدماً أنبوباً بلاستيكياً وراكضاً وراءه من غرفة إلى أخرى، ليضربه على مرأى من عيون طفل آخر. ونسمع الطفل يسأل والده: «ليش عم تضربني»، ليرد الأخير قائلاً: «ما بدكش تفوت ع الحمام؟»، فأجاب الطفل متوجعاً: مبلى مبلى بفوت ع الحمام». وفي نهاية الفيديو، نسمع الرجل وهو يضرب الطفل على وجهه: «بخنقك، بخنقك؟!». بعد انتشار الفيديو غرّد وزير الداخلية نهاد المشنوق، على «تويتر» معلقاً على الفيديو: «بأسى شاهدتُ على قناة «mtv» ، فيديو

لرجل يضرب طفلاً بوحشية، وليس واضحاً إذا كان والده ولا مكان وقوع العنف وتاريخه». وأضاف المشنوق: «أعطيتُ التوجيهات اللازمة للتحقيق في الأمر ولاتخاذ الإجراء القانوني المناسب بحق الرجل المعنّف، سواء كان والده أو أيّ شخص آخر، وقد باشرت قوى الأمن الداخلي بالتحقيق فوراً».

ولاحقاً أعلنت قوى الأمن الداخلي أنّه تمكنت مفرزة استقصاء الجنوب في وحدة الدرك الاقليمي من توقيف والد الطفل. أمام هذه الحادثة فتحت وسائل الإعلام سجالاً من نوع آخر بعد اكتشافها أن والدة الطفل هي من صور الفيديو. فتعرضت الأم لانتقاد شديد فكتب موقع قناة «mtv»» في ٢١ آذار ٢٠١٦ على سبيل المثال: يظهر بوضوح أن الزوجة، التي كانت تقوم بالتصوير، لم تبادر إلى الطلب من الوحش الذي يحمل صفة زوجها أن يتوقف عن ضرب الطفل، ولو أنه يرجح أن تكون عملية الضرب هي ليست الأولى، بل إن الأم، مع التشديد على وضع الكلمة بين مزدوجين، تصرّفت ببرودة أعصاب ربما تتساوى فيها مع فعل زوجها الوحشي. ولكون انتشار الفيديو تزامن مع حلول عيد الأم، خلص معظم المعلقين إلى أنّ أحمد عواضة ليس «أباً» وأن زوجته «جوسلين يحيى ليست «أماً» لأنها صورت الطفل بدلاً من الدفاع عنه وإنقاذه. توجهت وسائل الإعلام إلى معالجة هذه القضية من الناحية النفسية، وقابلت إحدى الطبيبات التي تحدثت عن المشهد القاسي، فأكدت على كون الأب «مريض»، والأم «مريضة» أيضاً، لأنها «تتفرج ولا تتدخل». ساوى الإعلام ما فعلته الأم بما فعله الأب، وحكم على أن الاثنين مريضين. وإن كانت الأم، في مقابلةٍ معها قالت انها لطالما شكت من تعنيف زوجها لها ولأولادهما، لكن، لا أحد كان يصدق كلامها، لذلك، قررت أن تصور ضربه لها ولأبنائها، وعندها، باستطاعتها أن تشهر الفيديو أمام المحكمة.

لم تكتف وسائل الإعلام بالتحليل بل ذهبت لمحاكمة الأم علانية، وقدمت دلائل وحجج على أنها إدانة نهائية لها، فنشرت إحدى المحطات التلفزيونية، عن «متابعين للقضية» أن عواضة كان منزعجاً من زوجته لأنها «متعلقة مرضياً بالواتسآب وبمواقع التواصل الاجتماعي، ما أدى إلى سجالات حادة بين الإثنين». وبحسب بعض وسائل الإعلام، أنه كان يعنفها ويعنف الأولاد لأنها كانت متعلقة بمواقع التواصل الاجتماعي، هكذا برر البعض للعنف، وتلهى البعض الآخر بالبحث عن تنميط دور الأم ورسم صورة

محددة لمهامها، لما يجب أن تفعله وما لا تفعله وإذا تصرفت خارج هذه النمطية المحددة مسبقاً فهي ليست «أم فعلية».

حادثة طرد المذيعة لأب متهم بتعنيف ابنه: خلال حلقة برنامج «للنشر»، التي بثت على قناة «الجديد» في ٨ حزيران- يونيو ٢٠١٥، استضافت مقدمته ريما كركي أباً عنف ابنه بأفظع الطرق. يقوم هذا الرجل بربط ابنه بجنازير حديديّة، ويقفلها حتى لا يستطيع الابن الحركة، ويعذّبه بالجلد، كما يطلب من الوالدة أن تشارك في ذلك «لحتّى يتربى»، كما يقول في مقطع الفيديو، الذي عُرض في بداية الحلقة. استضافت كركي الوالد بعد عرض التقرير الذي قال معلقاً على أفعاله إنه «من حقّه أن يضرب ابنه بُغية أن يُربّيه، ويصير منيح». تقول كركي له: «أنتَ وحش»، ثم تسأله: «هكذا تُربّي؟ تخاف من الربّ وحده؟ هل تعترف أصلاً بوجود الربّ؟ ألم تخَف أن يموت الصبيّ بين يديك؟». ثم يتحول الحوار إلى سجال بين المذيعة وضيفها فتقول له: «إلك عين تطلع تحكي؟»، فيُجيب: «ليش ما بدّو يكون إلي عين أحكي؟»، فتنفعل أكثر وتطلب منه المغادرة: «قوم فلّ من هون، قوم فلّ لأن هيدا الصبي بدنا ننقذه». لا نعرف لماذا استضافته إن كانت تقول له «الك عين تطلع تحكي»، ما الذي كانت تتوقعه كركي من الأب، كيف توقعت أن يبرر فعلته ووحشيته؟ ونتساءل لماذا انفعلت بهذه الشدة، هل الدافع كان انسانياً، وكيف يمكنها أن تقول لمشاهديها بعدما أحضرت ضيفاً إلى الاستديو وخصصت له الهواء والوقت ليبرر تعنيفه لطفله ومن ثم طردته أمام المشاهدين؟ يحتار المراقب في معرفة من المستفيد من مسرحة القضية بهذه الطريقة ؟.

ثانياً: أطفال يرتكبون أعمال عنف ويخرقون القوانين

الطفل الذي قتل والدته عن طريق الخطأ بمسدس لوالده: في ٢٨ شباط ٢٠١٦ قتلت المواطنة فاديا علي زين- ٣٥ عاماً- من بلدة جويا الجنوبية،عن طريق الخطأ بطلق ناري أطلق من مسدس حربي يحمله ابنها (٦ سنوات) في منطقة معوّض في الضاحية الجنوبية حيث تسكن. أولت وسائل الإعلام اللبنانية هذه الحادثة أهمية، ولأن هذه المرة الطفل هو الفاعل كان للأمر وقعه الخاص، ولكن في التغطية لهذا الخبر أظهر عدد من الوسائل التي نشرت هذا الخبر صورة الطفل، بينما عمد جزء منها إمّا إلى تغطيتها أو إلى

عدم نشرها. وضعت قناة mtv الحادثة ضمن فوضى انتشار السلاح الفردي، فقالت إنّ «مقتل فاديا الزين يطرح من جديد مشكلة فوضى انتشار السلاح الفردي، في بلد مشكلاته باتت أكثر من عدد سكانه». من جهتها قالت صحيفة النهار إن «الجريمة نتيجة عندما يصبح السلاح المتفلّت بيد الأطفال» واللافت أنه تّمت تغطية صورة الطفل الفاعل وكذلك أخته في المقال. أما في قناة LBCI فقالت فتون رعد في تقريرها أن «الطفل كان ضحية الرصاص الطائش قبل والدته»، فيما ركزت المراسلة على انتقاد إطلاق الرصاص الطائش أثناء تشييع الوالدة. من جهتها، شككت بعض وسائل الإعلام بقدرة الطفل على تلقيم السلاح وتصويبه على رأس الأم. كما اتهم البعض الوالد بالإهمال في التعامل مع السلاح. وهكذا تفاوتت تغطية هذه الحادثة بين نشر صور للطفل الفاعل، وبين تحميل الأهل والدولة مسؤولية الاهمال وترك السلاح المتفلت، وبين البحث مع اختصاصيين تداعيات الحادث النفسية على الطفل، وبين من تغافل عن الخبر ولم يعره أي انتباه .

الطفل الفلسطيني الذي خرق أمن المطار: تمكن الطفل الفلسطيني خالد الشبطي بعد ظهر يوم الأربعاء ٣١ أغسطس ٢٠١٦ من السفر إلى تركيا على متن طائرة تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط دون حيازته جواز سفر وبطاقة صعود إلى الطائرة. واكتشف طاقم الطائرة بعد إقلاعها وجود خالد عليها وأعاده إلى بيروت في اليوم نفسه.في اللحظات الأولى لانتشار هذا الخبر سارعت المواقع الاخبارية اللبنانية إلى نشره واصفة بمعظمها ما قام به الطفل بالعمل البطولي ومصورة إياه كإنجاز، وهنا نورد بعض العناوين مثل «طفل فلسطيني يخترق مطار لبنان ويسافر إلى تركيا وحيداً»، «فضيحة.. ليلة سقوط أمن المطار على يد ابن الـ١٢ عاماً»، « الـPassport مع بيبي».. طفل يخترق أمن مطار بيروت ويصل إلى إسطنبول».

اللافت في أن الصحف اللبنانية تعاملت مع الخبر بطريقة مغايرة لهذه المواقع. فأغفلت صحف «النهار»، «الأخبار»، «المستقبل» الموضوع، في حين أن جريدة «السفير» انتقدت بشدة ما جرى في المطار وكتبت لينا فخر الدين تحت عنوان : الطّفل الذي هزّ أمن المطار: «ما بقى عيدها!»»، التالي: «هي فضيحة بكلّ ما للكلمة من معنى. أن يعبر طفل لا يتعدّى عمره الـ ١٢ عاماً كل المصافي والمعابر الأمنيّة في مطار بيروت من دون جواز سفر وأن يسافر إلى تركيا بلا حجز ويعود على الطائرة نفسها إلى بيروت، فإنّ الأمر يكشف

مدى هشاشة التدابير الأمنيّة المتّخذة داخل المطار وعند مداخله وفي طائراته، ويطرح سؤال «السمعة» و«الهيبة» المفقودتين!»، واللافت أن «السفير» تابعت قضية الطفل والتحقيقات التي أجريت لاحقاً وكتبت عن الاستجواب الذي خضع له هو ووالديه. أما التلفزيونات فلم تهتم كثيراً بالخبر، وليس واضحاً ما إذا كان التعتيم مقصوداً أم لا، واللافت بين القنوات اللبنانية تغطية قناة الجديد التي بعثت بمراسلة لها إلى المخيم وظهرت برسالة مباشرة على الهواء لتخبرنا بما جرى وهي على مدخل المخيم من دون أن تجري أي مقابلة مع الطفل أو ذويه، فقط المخيم في الخلفية والمراسلة في المقدمة تتلعثم بذكراسم المخيم وتقول عن غير قصد «برج حمود» بدلاً من «برج البراجنة».

في حين أن مواقع التواصل الاجتماعي اشتعلت في الحديث عن الطفل وما فعله، فمنهم من هنأه واعتبر ما قام به ينم عن ذكاء وحنكة، ومنهم من عبر عن فرحته كون الطفل استطاع تحقيق حلمه بالسفر وعلى درجة رجال الأعمال، وفريق آخر من المعلقين ربط بين كون الطفل لاجىء ولا يملك المال ولا يستطيع السفر مبررين ما فعله. بررت الأغلبية الساحقة للطفل انتهاكه القانون بهذا الشكل وبمكان كالمطار. جزء من الإعلاميين بحث في تاريخ الطفل واتهمه بأنه كان يساعد في ترويج المخدرات داخل مخيم برج البراجنة حيث يعيش. وهكذا تم تحوير قضية الطفل الفلسطيني المنسي والمحجوز في المخيم ولا أفق لمستقبله، ولا أمل له في التعليم ولا العمل ولا العيش الكريم ولا حيازة جواز السفر.

طفل لبناني يعنف طفل سوري: في ١٩ تموز- يوليو ٢٠١٤، تناقلت المواقع الالكترونية في لبنان مقطع فيديو يتضمن طفلاً يعنف طفلاً آخر بحضور وتشجيع من أهل الطفل الأول، ومع أن الفيديو يعود لأكثر من عاميين ماضيين إلاّ أنه كان من أبرز القضايا التي تناولها الإعلام اللبناني، كونه تحوّل إلى قضية رأي عام، خصوصاً أن المعنف طفل صغير والضحية طفل أيضاً أما المحرضون فهم الكبار الذين يرمزون الى انتماء معين .يظهر في الفيديو طفل صغير اسمه عباس، يقوم بضرب طفل مذعور مجهول الإسم، بعصا غليظة. واستمرت عملية الضرب لنحو دقيقتين رغم توسلات الطفل وبكائه، بينما تولى أشخاص لا يظهرون في الشريط، تحريض عباس على مواصلة ضرب الطفل. ويُظهر الشريط الطفل عباس (مواليد ٢٠١٢)، وهو يحمل عصا يوجهها الى طفل نحيل أطول منه (عرف لاحقاً أنه سوري

الجنسية- مواليد ٢٠٠٥) يحاول عبثاً أن يدافع عن نفسه. إلاّ أن شخصاً في الخلفية يسمع وهو يقول للطفل «انزل يديك»، على رغم توسل الأخير. وسمع الشخص الذي تبين لاحقاً أنه والد الطفل، وهو يقول «يا عباس، اضربه، لا تخف»، ليبدأ عباس بتوجيه ضربة أولى بالعصا إلى ذراع الطفل الذي يحاول الابتعاد دون جدوى. بعد انتشار هذا الفيديو، وكما كل مرة يأخذ الاعلام القضية المتعلقة بالأطفال إلى منحى معيّن حيث يبدأ السجال. وفي هذه القضية بالذات تمّ ربط الحادث بقضية اللاجئين السوريين في لبنان، فعلى سبيل المثال كتبت صحيفة «النهار» إنّ حادث الفيديو قد «أثار جانباً من ظواهر العنف المجتمعي الذي يضرب لبنان في ظل أزماته الأمنية والسياسية والاجتماعية ومن بينها خصوصا مأساة نزوح السوريين التي تثقل على لبنان وعلى اللاجئين في آن معاً». وكما العادة أطلقت وسائل الإعلام الأحكام وحددت البريء والمذنب منذ اللحظات الأولى، ويتضح ذلك في المقدمة التي خصصتها قناة «LBC» في نشرة أخبارها للحديث عن القضية قائلة: «المنفذ بريء والضحية بريء، أما المجرم فهو الأهل أو الذي هو في سن الرشد الذي يحرض المنفذ على الضحية. طفل ينهال على طفل بالعصا، بتشجيع من أهله، أو من يفترض أنهم أهل. لا ينفع بكاء الضحية وتوسلاته ليتوقف الطفل عن ضربه أو ليستثير عطف الأهل لإيقاف ولدهم. وأضافت القناة: «ماذا تسمى هذه الثقافة؟ هل هي ثقافة التخلف؟ هل هي ثقافة الجهل؟ هل هي ثقافة العنف المتأصلة في نفوس الكبار الذين يحاولون أن يزرعوها في نفوس الصغار؟ وإذا كان الأمر كذلك فأي جيل سينشأ على أيدي هؤلاء الوحوش؟.

فتى يضرب والدته على الهواء: تعود قصة أحمد الذي استضافه زافين قيومجيان في برنامج «عل أكيد» الذي تبثه قناة المستقبل، إلى الأول من نيسان ٢٠١٤، لكن هذه الحادثة بقيت عالقة في أذهان المشاهدين بسبب هوية المعنف والضحية. إذ قام أحمد بضرب أمه على الهواء خلال البرنامج الذي تقوم فكرته على حلّ مشاكل المواطنين الذين يتصلون بفريق عمله، وهذه المرة كانت «أم أحمد»، هي من طلبت من معدّي البرنامج جمعها بابنها أحمد الذي لم تره منذ ٧ سنوات بعد انفصالها عن والده.(كما تروي المحطة). واتصل فريق البرنامج بوالد «أحمد»، الذي سمح له بالمشاركة في الحلقة، إلا أنّ الولد الذي لا يتعدى عمره الـ١٥ عاماً، وعند مجيئه إلى الاستوديو حيث يصور البرنامج طلب عدم رؤية والدته. وبعد إقناع فريق العمل لأحمد بالمشاركة في الحلقة إلى جانب

والدته مراراً وتكراراً، استمر التصوير يوماً كاملاً أمضاه المذيع بمحاولات متكررة لإقناعه بمواجهة والدته وطرح الأسئلة المعلقة لديه، وما إن بدأ الإبن بطرح الاسئلة على والدته حتى غضب ووصل به الأمر إلى شتم والدته وتهديدها وركلها أمام الكاميرا.

اللافت أنّ البرنامج لم يكن على الهواء مباشرة بل مسجلاً، ومع ذلك رأى القائمون عليه أنه من الممكن بثّ هذا المقطع المثير بقساوته، والكفيل بجعل المشاهدين يتداولونه في اليوم التالي. وبلغ التلاعب بالمشاعر ذروته عندما ختمت الحلقة ببسمة على وجه الطفل لأن البرنامج استطاع تأمين منحة دراسية له؟ فكان شر هذا بخير ذاك، فرح الطفل بالعودة الى الدراسة، وضرب الأم على الهواء، وكأن شيئاً لم يكن .

ثالثاً، تناول الاعلام لحوادث العنف المرتكبة بحق الطفل السوري

صورة الطفل السوري عمران دقنيش (٥ عوام)، الذي أنقذه عناصر الدفاع المدني السوري المعروفين بـ«الخوذ البيضاء»، من تحت الأنقاض بعد قصف على مدينة حلب في ١٧ أغسطس/ آب الماضي. تصدرت هذه الصورة الصفحات الأولى للصحف العالمية، التي وصفته بأنه «أيقونة الحرب السورية» كما أطلقت عليه بعض الصحف «رمز الحرب السورية» فيما وصفته أخرى بـ «طفل الحرب». وقد تعاملت الصحف اللبنانية مع هذه الصورة بأشكال مختلفة. فعنونت صحيفة «النهار» :«عمران انتقم لإيلان وقهر الموت»، وشبّهت صورته بصورة الطفل إيلان الذي غرق أثناء محاولة أهله الهجرة إلى أوروبا عبر البحر. وجاء في النص : «صار عمران دكنيش آخر الضحايا الأحياء للحرب الوحشية في سوريا التي توزع ضحاياها بين قتلى وجرحى ولاجئين ونازحين وأحياء يعيشون من قلة الموت. وركزت صورته التي جالت العالم الضوء مرة جديدة على معاناة شعب تركه العالم يواجه مصيره الأسود». كما كتب عقل عويط أيضاً مقالاً بعنوان «وجه الله» قال في نهايته «لو شئتُ أن أغيّر اسمي، في هذه اللحظة بالذات، لجعلْتُه عمران، تيمّناً بوجهكَ الذي بعضُهُ وجهُ قلبي، وبعضُه الآخر وجهُ الله!». وأوردت «النهار» ما تناقله رواد مواقع التواصل الاجتماعي من مجموعة من الصور المركبة تعبيراً عن امتعاضهم من صمت العالم إزاء الحرب السورية التي أوقعت منذ العام ٢٠١١ أكثر من ٢٩٠ ألف قتيل. ويظهر عمران في إحدى هذه الصور وهو يتوسط الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما

والرئيس الروسي فلاديمير بوتين في تلميح إلى أن أطفال سوريا ضحايا صراع القوى الكبرى المنخرطة بالنزاع السوري. وفي صورة أخرى، يجلس عمران على مقعد سوريا في جامعة الدول العربية المتهمة بالتقاعس عن التدخل لإنهاء النزاع السوري. وأرفق الرسام صورته بعنوان بالانكليزية: «خيارات الأطفال السوريين»، وكتب تحت صورة عمران: «إذا بقيت» وتحت صورة إيلان «اذا غادرت».

في المقابل، تداول ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي وموالون للنظام السوري صوراً لأطفال قتلوا جراء القذائف التي تطلقها الفصائل المعارضة على الأحياء الغربية في حلب، مذكرين بأن مدنيين يقتلون ويصابون في الجهة الأخرى من المدينة. ورأت المتحدثة الإعلامية لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسف» في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا جولييت توما في تصريح لـ«فرانس برس»أن صورة عمران هي «تذكير بهول الحرب وتأثيرها الوحشي على الأطفال،لذا يجب ان تهز هذه الصورة ضمائر العالم[٤٧]».في صحيفة «السفير» كتبت سحر مندور، تحت عنوان «الانسانية كتهمة»: يقال إن اختزال جرائم الحرب بهذه الصورة يجعل منها سلاحاً حربيّاً، وهذا صحيح. المنطق نفسه ساد النقاش في معظم الصور التي تستدعي حسّاً إنسانيّاً يسبق الموقف السياسيّ». واعتبرت مندور أنّ «السعي السياسيّ للمساواة بين جريمتين كفعل إخراسٍ لهما. صور الطفل المذبوح لدى «حركة نور الدين الزنكي» يجب أن تخرس صورة عمران».

من جهتها اختارت صحيفة الأخبار في اليوم التالي لنشر الصورة أن تنتقد الاعلام الغربي فكتبت تحت عنوان: «عمران أفلت من وحشية الحرب فقصفه الإعلام الأجنبي»: تعاطى الإعلام الأجنبي مع هذه الصور (صور ايلان وعمران) بالطريقة نفسها، ملقياً مسؤولية الوحشية والدمار على عاتق طرف واحد فقط. مع تكرّر البشاعات والمجازر في مختلف المناطق السورية بـ «جهد» جميع أطراف النزاع، نقف أمام المشهد نفسه: تركيز على الضحايا في مناطق محدّدة دون أخرى، وكأنّ بقاعاً أخرى من هذه البلد لا تشهد قتلاً ومعاناة».

أما قناة الLBCI فقالت إن عمران تحوّل إلى رمز ونشرت تقريراً عنونته بـ«عمران المغطى بالغبار والدماء يتحول إلى رمز لمعاناة المدنيين». وفي مراجعة لمقدمات نشرات الأخبار التي بثت يوم ١٨ آب ٢٠١٦ لم ترد الصورة في نص مقدمات النشرات المسائية

٤٧ النهار ١٩ آب ٢٠١٦ ، المصدر (أ ف ب)

الاّ بقناة «المستقبل» التي قالت «وليس بعيداً عن يومياتنا، هاجمتنا هذه الصورة من حلب، لطفل يختصر في لحظات قليلة خمس سنوات من الفاجعة السورية. طفل خارج من تحت ركام القصف، يبحث عن يد تحتضنه، وعن مسعف يطببه، وعن رأي عام يستمع إلى الجروح التي في قلبه، قبل الجروح التي في رأسه». في حين لم تأت أي من ال«LBCI» والى«MTV» والى«OTV»و«المنار» عن ذكر الموضوع. أما في مقدمة نشرة أخبار «تلفزيون لبنان» فاكتفى التلفزيون الرسمي بالقول: سوريا في الواجهة مجدداً.. غارات جوية روسية كثيفة على حلب. أما «NBN» فتحدثت في مقدمتها عن التطورات الميدانية في سوريا وجاء في مقدمتها «في الميدان السوري استعاد الجيش زمام المبادرة وانتقل الى موقع الهجوم في جنوب غرب حلب مستهدفاً أرتال إمداد المسلحين بالتوازي مع اشتباكات عنيفة متواصلة على جبهة الكليات العسكرية». [٤٨]وهكذا وكما في كلّ مرة يستخدم الأطفال ضحايا الحرب وقوداً في أتون الصراعات السياسية وإدانة المواقف أو تجميلها.

ذبح الطفل الفلسطيني على يد جماعة «نور الدين الزنكي» في سوريا: في العشرين من تموز ٢٠١٦ تداول نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي، مقطع فيديو قصير يظهر فيه الطفل الفلسطيني عبد الله عيسى في حلب أثناء قيام عناصر من جماعة نور الدين الزنكي بايذاء الطفل قبل ذبحه. ويظهر مقطع الفيديو عناصر الجماعة وهم في حالة من الفرح والسرور قبل ذبح الطفل. وعند سؤال الطفل عن أمنيته الأخيرة.. قال: «قواص»، أي يتمنى أن يتم قتله رمياً بالرصاص بدل الذبح.. فقالوا له «لا عالذبح».

نشرت وسائل الإعلام اللبنانية صور الطفل وهو يذبح، ومنها من غطى وجهه إلاّ أنها تركتنا نرى اللحظات التي سبقت ذبحه حين كان يتحلق حوله قاتليه ويعذبونه وهم يضحكون. سمعنا في نشرات الأخبار أنين الطفل وتكبيرات قاتليه كلّ ذلك بث على الشاشات من دون مراقبة أو معالجة خاصة بهذا الفيديو الفظيع. وفيما بثت معظم القنوات الفيديو وأعدت تقارير حوله الاّ أنه لم يتم تقديمه إلى افتتاحية النشرة أو مقدمتها سوى في قناة «الجديد» التي خصصت مقدمتها كلّها للحديث عن هذه الصورة، مستخدمة إياها لتوجيه انتقادات لجهات ودول اقليمية، وجاء فيها : «من قتل إسلام محمد ليس غريباً عليه

٤٨ تمت مراجعة المقدمات التي بثت في ١٧ آب ٢٠١٦، كون الفيديو الخاص بعمران نشر مساء هذا التاريخ إلّا أنه لم يرد أي شيء عنه في مقدمات القنوات التالية: «تلفزيون لبنان»، المنار، LBCI، أم تي في، أو تي في، الجديد، NBN، المستقبل.

أن يذبح عيسى طفل الإثنتي عشرة سنة اختصر بعنقه خمسة أعوام من الحرب السورية الملعونة الدين والنسب والأهل والرعاية والتدريب والتسليح والتمويل، الطالعة من كذبة اسمها ثورة، والخارجة على الديانات السماوية المخرجة حفنة قتلة وأوغاد ومخلوقات عجيبة لم تصنع لها قلوب ولا ضير عندها في التهام الأفئدة، عيسى فلسطين المذبوح كفلسطينه يهز الرأي العام ولا يخدش حياء الدول بصناع حربها والأمم بالقلق الدائم لأمينها وجامعة الدول عن بكرة «أبو غيظها» وجمعيات حقوق الرفق بالإنسان المعنية شهرياً بتعداد أرقام الضحايا والنازحين كما لو أنها آلة تذكير ميتة. وفي قناة «المنار» التي خصصت مقدمتها كلّها للحديث عن ذبح عيسى، ووظفتها كذلك لتوجيه انتقادات لجهات وأطراف معينة متوعدة بالانتقام من قتلة الطفل (باسم حزب الله)، وجاء في المقدمة التالي: عبد الله العيسى، طفل فلسطيني شاهد وشهيد، ليس فقط على ضياع بوصلة هؤلاء الموتورين والمتآمرين على القدس وفلسطين، بل على تطابقهم مع وجهة تل ابيب. عبد الله العيسى طفل فلسطيني، حجة على اعتلال الأمة، التي ترى في حركة نور الدين زنكة معارضة معتدلة.. فهل يعلم العالم أن هذا الطفل المريض هجّر أهله الإسرائيليون، وذبحه ربائبهم التكفيريون.. فماذا سيقول الأوروبيون والأميريكيون وبالأخص السعوديون، عن هؤلاء المجرمين، الذين انتسبوا زورا للتاريخ الإسلامي، والحاضر الإنساني؟. وهكذا انقلبت الأدوار في المحطات فتلك التي استحضرت صورة عمران تجاهلت صورة عيسى ، والعكس بالعكس ، وذلك تبعاً للمواقف السياسية ، وهذا يعدّ بحد ذاته استغلالاً للطفولة ودوساً على الكرامة الإنسانية .

كذلك نشرت الصحف اللبنانية صورة الطفل من دون تغطية وجهه، فبدا يتألم وقاتلوه يشدونه من شعره والابتسامة تعلو وجناتهم. فانتقدت صحيفة «السفير» الدول الكبرى المتورطة في الحرب السورية وكتبت تحت عنوان»«توحش» فصائل «الاعتدال»... «الزنكي» نموذجاً»، التالي: «المشاهد المروعة لذبح الطفل الفلسطيني في حي المشهد في حلب على يد مسلحين «معتدلين» مدعومين أميركياً من فصيل «نور الدين الزنكي»، ليست مجرد مشهدٍ آخر من مشاهد الوحشية المتكررة منذ بدء الحرب السورية، بل هي دليلٌ على أن الولايات المتحدة قد أضافت حلقةً جديدة على مسلسل الفشل الذي تتعرض له جرّاء إصرارها على اختلاق «المعتدلين» وإخراجهم من بطن «التوحش». وعنونت جريدة «الأخبار» للحادثة بالقول : « حلفاء واشنطن « المعتدلون» يذبحون طفلاً في حلب

.[٤٩]وسردت صحيفة «النهار» تفاصيل ما جرى تحت عنوان: صدمة وغضب... «كيف تمكّن هؤلاء من ذبح هذا الطفل؟ ذاكرة ان هذه الحادثة غدت مادة للتفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي . وبعد ادانات بعض المعارضات السورية عملية الذبح التي رأوا انها تسيء الى «أخلاق الثورة» والمطالبة بمعاقبة الفاعلين. وكان لافتاً قيام ناشطين معارضين وآخرين مقربين من المعارضة بنشر صور ووثائق تزعم أن الضحية «يبلغ من العمر ١٩ عاماً وأنه مقاتل في صفوف القوات الموالية للنظام». هذه المعلومات أثارت نقاشات حادة على الساحة الافتراضية. فقد هاجم معلقون ما اعتبروه «تبريراً للذبح بحجة أن الضحية عمره ١٩ عاماً»، واتهم آخرون ناشري هذه الوثائق بالفبركة والتزوير إذ أنّ «ملامح الفتى تشي بأنّ عمره ما دون الـ١٩ ، كما أنّ المرض والإنهاك كانا باديين عليه، فكيف يجرؤ من يصفون أنفسهم بالعقلانيين والناشطين في صفوف الثورة على الترويج لتبرير قتله بأية حجة كانت.» في المقابل، دافع بعض من نشر هذه الوثائق عن نفسه قائلاً «إنه أراد التوضيح بأن من قتل ليس طفلاً بل مقاتلاً، وإنه يرفض القتل لكن يريد أيضاً أن تسلّط الأضواء على الأطفال الذين يقتلون بغارات النظام وحلفائه». وقال مدافع آخر «يريدون تشويه صورة المعارضة المعتدلة وعلينا الرد». في المحصلة، وبمعزل عن الجدل الدائر، فإنه أخذَ الأمورَ إلى غير مكانها الصحيح الذي يجب أن يكون الإجماع على إدانة قتل طفل أو مقاتل أسير.[٥٠]

الطفلة السورية بين الغناء في برنامج «ذا فويز كيدز» وأمام أسماء الأسد زوجة الرئيس السوري تحت عنوان:«أسماء الاسد تقضي على أحلام الطفلة غنى بو حمدان» كتبت صحيفة «المدن الالكترونية»: قضت الرئاسة السورية على أحلام الطفلة غنى بو حمدان التي شغلت العالم العربي منذ يومين، تضامناً وتعاطفاً ودعماً لها، إثر بث مقطع فيديو يظهر أن الطفلة التي حازت إعجاب لجنة الحكم في برامج «ذا فويز كيدز» ليل السبت، كانت قد أدت الأغنية نفسها أمام أسماء الاسد، زوجة الرئيس السوري بشار الأسد. وجاء في النص المرافق للفيديو أن بو حمدان «غنّت للطفولة والسلام أمام السيدة أسماء الأسد في ربيع ٢٠١٥.. ولا زالت تغنّي.. فأوصلت بصوتها ودموعها رسالة أطفال سوريا الذين اغتال الإرهاب أفراحهم وأعيادهم.. ولكنّه لم ولن يتمكّن من كسر قوّة الحياة بداخلهم» وكانت الطفلة السورية قد بكت وهي تغني أغنية «أعطونا الطفولة» لريمي بندلي، في الحلقة الأولى من برنامج The Voice Kids على قناة MBC، مما أثّر بشكل كبير

٤٩ الأخبار ، الاربعاء ٢٠ تموز ٢٠١٦
٥٠ المصدر : «مواقع التواصل» النهار ٢١ تموز ٢٠١٦

بلجنة الحكم والفنانة نانسي عجرم التي وقفت الى جانب الطفلة، دعماً لها، وأكملت الأغنية الى جانبها، بعد أن غصت الطفلة بالبكاء. وانتشر المقطع بشكل واسع على مواقع التواصل الاجتماعي[٥١]

كذلك كتبت فاطمة عبدالله من صحيفة «النهار»[٥٢] قائلة : لم تكد الصغيرة غنى بو حمدان أن تشكّل حالة جامعة، حتى نُبش لها ماضٍ يعمّق الانقسام السياسي. انتشر عبر مواقع التواصل الأداء البريء للصغيرة السورية لأغنية «أعطونا الطفولة» أمام لجنة تحكيم برنامج The Voice Kids («أم بي سي»، «أم بي سي مصر»، «أم تي في» وانشغل الناشطون بالتأثّر في الدموع التي ذُرفت واللحظة الإنسانية التي تُجمّل الموقف. وكادت الصغيرة أن تشكّل حالة مشتركة وسط التشظّي، إلى أن أُرفق الفيديو «الوحدوي» بفيديو آخر يُظهر الصغيرة ذاتها تؤدي الأغنية ذاتها، وهذه المرة أمام زوجة الرئيس السوري أسماء الأسد، أي أمام زوجة النظام المتهم بقتل الطفولة والشباب والكهولة والوطن.

فجأة تغيّرت النبرة، وانتشر- عوض فرح الأغنية- الاستفزاز وردّ الفعل. وتحوّلت بو حمدان مادة سجال بين موالٍ ومعارض وأُريد لبراءة الحنجرة أن تتلاشى. نَبش فيديو غناء «أعطونا الطفولة» أمام أسماء الأسد، فيما يُفترض أنّها رسالة سلام في وجه مجانية القتل، أصاب البعض في العمق فَجرَّ الصغيرة إلى ميادين الحرب. «يا فرحة ما تمّت»، وسوريا ما كادت أن تهلّل حتى قيل أنّها خابت. فيديو ان للأغنية عينها في اتجاهين متناقضين، مرّة تجاه التوق إلى الطمأنينة برجاء السلام، ومرّة تجاه الزوجة والحاشية وأكذوبة السلام في ظلّ السطوة، وما الصغيرة سوى طعم عُلّق بشبكة. الصغيرة ذارفة الدمع رسمت حول دمعها استفهاماً يتعلّق بحقيقة التأثر فيما سبق للأغنية أن أُطلقت بتأثر أقل ومن دون التحوّل إلى حالة.

وهكذا ضاعت الطفولة في خضم الحروب والصراعات المسلحة التي تعصف في سوريا، وفي غياهب المعالجات الإعلامية المنقسمة سياسياً والتي نسي القسم الأكبر منها الأطفال الضحايا واهتموا إما بإدانة المتهم وإما وبتبرئته وتجميل صورته.

٥١ المدن–ميديا. الإثنين ٢٠١٦/٠١/٠٤
٥٢ النهار ٤ كانون الثاني ٢٠١٦

خلاصات عامة

إن ضآلة الحيز المخصص للطفولة في برمجة ومضامين الوسائل الإعلامية اللّبنانية يعني ضعف اهتمام القيمين على هذه الوسائل بالطفل وبثقافته. أمّا الطريقة التي تتعامل بها وسائل الإعلام مع أحداث وقضايا تخصّ الأطفال فإنها تعدّ كاشفة للأساليب المعتمدة في المهنة، لأخلاقياتها، لطرق تفاعلها مع قطاعات المجتمع، لمسؤوليتها ، لمدى وعيها لدورها ووظيفتها في المجتمع من ناحية، وكاشفة بحدود معينة لما يجري على أرض الواقع من سياسات وإجراءات حكومية وغير حكومية تجاه الأطفال، ومن ثقافة وذهنية اجتماعية لما تعنيه الطفولة، من ناحية ثانية.

وكان أن تبيّن خلال رصد عينات من نشرات الأخبار ومن الصحف المطبوعة، أن نسبة الأخبار الخاصة بالطفل في نشرات الأخبار بلغت ١٦٪. وحضرت في العناوين بنسبة ٨٪، وغابت موضوعات الطفل عن مقدمات هذه النشرات. حضر الطفل بالدرجة الأولى في الأخبار المتعلقة بالأحداث الأمنية ومن ثم في أحداث العنف يليها في النشاطات الرياضية، من ثم كطفل مميز، وتأتي النشاطات التربوية في الدرجات الأخيرة . وكان الطفل في هذه الأخبار بالدرجة الأولى ضحية بنسبة ٦١٪، ثمّ حلّ موضوعاً للخبر بنسبة ٣١٪ واستخدم كخلفية للأخبار بنسبة ٨٪. وطغى العمل التقريري ومن ثم التغطيات والريبورتاجات. وحمّلت النسبة الكبرى من الأخبار بمواقف سياسية توزعت باتجاهات متعددة من الحكومة إلى الأهالي فالمجتمع وبالدرجة الأخيرة القانون. أمّا في الصحافة المكتوبة فقد وردت في الأعداد التي تم رصدها موضوعات تخص الطفل بنسبة ٦٩٪، وإن اختلفت النسبة بين صحيفة وأخرى. إذ أتت «السفير» بالدرجة الأولى تليها «النهار» ف»الديار، ف»الأخبار. وإن كانت نسبة الأخبار التي أتت في الصفحات الأولى فقط ٨٪. واختلف حضور الطفل تبعاً للموضوعات في الصحافة المكتوبة عنها في محطات التلفزة فاتسعت مروحة الموضوعات التي حضر فيها الطفل وأتى على التوالي في المواضيع الأمنية ، التشرد، الشأن التربوي، حوادث العنف، نشاطات الجمعيات، نشاطات رياضية

، ترفيهية، فنية، تقارير دولية، وأخيراً بنسب ضئيلة في اجراءات متخذة، في الكلام عن الاستغلال، في بعض الشؤون الاقتصادية والسياسية . وكانت الأخبار من نصيب الطفلات الإناث مضاعفة عن تلك التي من نصيب الأطفال الذكور، وأتى الكلام على الأطفال اللّبنانيين بالدرجة الأولى يليها السورين فالفلسطينيين. وتراجع حضور الطفل في الصحافة المكتوبة كضحية مقارنة بمحطات التلفزة إذ استخدم في هذه الصحف كخلفية للأخبار بالدرجة الأولى ثم كموضوع وبعدها كضحية ومن ثم كشاهد. كذلك اتسعت مروحة الأعمال الصحفية المستخدمة في الصحافة المكتوبة لتشمل إلى جانب الأخبار والتغطيات التحقيقات ومقالات الرأي والمقابلات. أيضاً تنوعت المصادر المعتمدة لتشمل إلى جانب المراسلين ووكالات الأنباء والمصادر الرسمية الجمعيات الحقوقية . وفي رصد لعناوين صحيفة المستقبل الخاصة بالطفل لمدة عام ، ٢٠١٦ ، تبيّن أن الطفل حضر بالدرجة الأولى لدى الكلام عن نشاطات الجمعيات، لتأتي بعدها الحوادث الأمنية وأحداث العنف ومن ثم النشاطات والشؤون الصحية والتربوية وتأتي بدرجة متأخرة تصريحات المسؤولين، والاجراءات المتخذة .

بالمحصلة يمكن القول إنّ معالجة الصحافة المكتوبة لموضوع الطفل أتت متباينة فيما بين الصحف عينها وما بين الصحف ومحطات التلفزة. سواء كان على مستوى الحيز المعطى للطفولة أو على صعيد مقاربة الموضوع أو على صعيد نوع الاعمال الصحفية المستخدمة أو بخصوص المصادر المعتمدة أو الأطراف التي تم استحضارها لتدعيم قضية تخصّ الطفولة أو على مستوى الايحاءات التي بدرت لتجعل طرفاً مسؤولاً عما يجري دون غيره.

في تحليل معمق لنماذج من المعالجات الصحفية ، تبيّن أنّ الإعلام المتلفز مال لاستحضار الضحايا، المرتكبين، رجال الدين، شبكات التواصل الاجتماعي . في حين أنّ مروحة الأطراف التي استدعتها الصحافة المكتوبة كانت أوسع لتشمل الأجهزة الأمنية، الأكاديميين، المختصين، الأهل، منظمات المجتمع المدني، القانون،النواب، الثقافة المجتمعية، محطات التلفزة، الإعلان، الصراعات السياسية. وعلى الرغم من توسيع دائرة الأطراف المعنية بالطفولة إلاّ أنّ هذه المعالجات غالباً ما استخدمت موضوع الطفولة كخلفية لتعزيز مواقف سياسية معينة أو للغمز من قنوات بعض الأطراف السياسية،

كذلك غالباً ما تم تغييب قضايا الطفولة بسبب الانهماك في تبرئة المجتمع حرصاً على عدم المس بالسيستم القائم. واللافت أنّ المعالجة الإعلامية لموضوع الطفولة، خصوصا المتلفزة، طرحت بحد ذاتها كإشكالية من قبل الصحافة المكتوبة، ومن قبل بعض محطات التلفزة في سياق التنافس الواصل لدرجة الخصومة بينها، على سبيل المثال طرحت إشكالية التستر على بعض الانتهاكات لحقوق الأطفال تحت عناوين مذهبية وطائفية. وغالباً ما كانت تتّم أعلمة القضايا مباشرة من أرض الحدث دون أن يتوفر من يعمل على تعيينها وتحديدها وتأطيرها أو تبريرها أو أشكلتها. وهذا ما حال دون تكريسها وتحويلها إلى قضية قابلة لكسب مؤيدين جدد، ما يمكنها من الوصول الى دوائر صنع القرار. ففي هذا النوع من الأعلمة المباشرة خصوصاً المرئية منها تصبح المعالجات طرفية، فينشغل الإعلاميون بجنسية الضحية أو بجنسية المرتكب أو بطائفته ومذهبه، بغرض التسمية التي تجر معها دلالات وتوقعها في خانة التنميط . كذلك يتم التركيز على المسرحة الباحثة عن الغضب، الاستنكار، التعاطف، الغرابة ، استجداء الشهادات، الحالات الغريبة، وأحيانا شراؤها كما يشاع. ينتج عن ذلك إما تحوير الموضوع وإما تجهيل الفاعل، وإما تبرئة المجتمع أو الذهنية السائدة، كمثل تبرير بعض وسائل الإعلام لذاك الزوج المعنف لأطفاله، بحجة أن زوجته هي السبب لكونها مدمنة على استخدام «الواتس اب». او ضياع الطفولة في سوريا في خضم الصراعات والحروب والحروب المضادة وانشغال أهل الإعلام كل من موقعه في الاختلاف على تحديد أي طرف من الأطراف المتصارعة قتل أطفالاً أكثر من الآخر ومثّل بهم.

ولهذا في معرض بحثنا عن السياسات الإعلامية الخاصة بالطفولة في لبنان بالمعنى الفعلي لكلمة سياسات، نعترف بأننا لم نجد شيئاً من هذا القبيل. إنما وجدنا جزئيات منها مبعثرة ، متفاوتة، متباينة تبعاً لنوع الوسيلة، ولمن يملكها، ولثقافة ومهارة الصحفي، ولنوع الحدث، وللظرف السياسي، وللمنطقة والجهة التي نسب إليها الحدث جغرافياً أو طائفياً أو سياسياً. ذلك يعني أنّ المعالجات الواردة أعلاه وما تخللها من سلبيات ومن إيجابيات لا يمنع أنّ وسائل الإعلام لا سيّما الصحافة المكتوبة اهتمت أحياناً بنقل وقائع مؤتمرات انعقدت حول الطفولة، وأبرزت مبادرات عديدة قامت بها جهات حكومية ومنظمات مجتمع مدني منها المبادرة المسماة «إعلام صديق للطفولة». والقاسم

المشترك فيما بين الوسائل على اختلافها أنها غدت وإن بدرجات مختلفة واقعة تحت وطأة ثلاث عناوين: الصراعات والانقسامات السياسية ذات الطابع المذهبي والطائفي والعنصري العرقي أحياناً، العالم المكشوف والفضاء المفتوح ما يجري في عالم الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي من أخبار وفيديوهات، التنافس الشرس وما يستتبعه من إثارة وتسرّع وعدم تنبّه لأخلاقيات العمل الصحفي.

حصل ذلك في سياق شهد تحولات طرأت على حقل الفضاء العمومي، نذكر منها: اعطاء الكلام الى الناس العاديين، إبراز الشهادات، وحصول تداخل بين العام والخاص، بين الجدية والإثارة، بين الإعلام التقليدي والإعلام الجديد ، بين المرسل والمتلقي. كذلك طرأت تحولات على آليات العمل الإعلامي وبالتحديد المتلفز لتصبح الكاميرا هي الهدف وكل شيئ يصب في خدمتها . بالمقابل تدهورت أوضاع الصحافيين الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية وضاعت نقاط ارتكازهم. وحصل تنافس محموم بين الوسائل الإعلامية، التي شهدت في الفترة الاخيرة أزمات اقتصادية، نتيجة تضخم المشهد الإعلامي، وتدهور الأوضاع الأمنية، وانحسار سوق الإعلان، والانقسامات والصراعات السياسية التي عصفت بلبنان في العقدين الأخيرين، والظروف المعيشية الضاغطة، نتيجة تزايد أعداد اللاجئين السوريين والفلسطينيين، وتصاعد العنف وتفشيه في مفاصل الحياة اليومية وتغلغله في مفاصل العمل الإعلامي. يضاف إلى ذلك التحوّلات العالمية الطارئة على الفرد وطرق تشكّله وبناء هويته. كلّ هذه التحوّلات جعلت السياسيات الإعلامية إن وجدت تتحلّل، ودفعت نحو مزيد من تحلّل مختلف البنى التقليدية. خصوصاً وأنّ التحوّلات الطارئة على العمل الإعلامي والتي ترافقت مع تحوّلات طرأت على عملية تشكّل الفرد انعكست ارتباكاً وغموضاً في المعاني المعطاة للطفولة . فمن المنظور البنائي، كلما كانت الأطراف المعنية بالطفولة مهيأة لتلقف قضايا الطفولة، للعمل على أشكلتها، وعلى تعهدها، والتحرك من أجلها، كلّما دفعت وسائل الإعلام نحو إدراج هذه القضايا على أجندتها، وكلّما حفزتها لطرح هذه القضايا للنقاش في حقل الفضاء العمومي، وكلّما تم العمل على تعميمها وبهذا تجد طريقها إلى دوائر صنع القرار، وعندها تستوي أمامنا السياسات الحكومية والمجتمعية والإعلامية تجاه الطفولة. وهذا ما يتطلب من الباحثين العمل على مساءلة المفاهيم وملاحقة تحوّلاتها وبذل الجهود لإضفاء معاني جديدة عليها والإسهام في أشكلة

الموضوعات المطروحة. ويتطلب أيضاً من منظمات المجتمع المدني أن تتلقف هذه الإشكاليات وتعمل على تعهدها ، وكذلك من وسائل الاعلام بذل جهود فائقة لإكساب العاملين لديها مهارات تخوّلهم الانخراط في القضايا العمومية للتثمير في قضايا المجتمع . كذلك يتطلب من الحكومات أن تعمل على تطوير التشريعات والسياسات الخاصة بالطفولة في ضوء ما يحيط بعالمنا وبعالم الطفولة بالتحديد من تحوّلات.

شبكة الرصد المعدة لرصد موقع الطفل في عينة من نشرات الاخبار

القناة المرصودة:

تاريخ النشرة:

هل ورد في النشرة خبر يخص الطفل؟

نعم لا

في حال نعم، في أي موقع من النشرة ورد؟

المقدمة □ العناوين □ الفقرة الأولى □ الفقرة الثانية □ الفقرة الثالثة □ متفرقات □ في اكثر من مكان □

ما هو موضوع الخبر التي تناول الطفل؟

إجراء □ نشاط جمعية □ حادثة عنف □ أحداث أمنية □.تشرد □ تميز □ استغلال □ نشاط ترفيهي □ نشاط تربوي □ غير ذلك

اوضح

ما هو جنس الطفل الذي تناوله الخبر؟

ذكر □ أنثى □ الاثنان معا □

ما هي جنسية الطفل الذي تناوله الخبر؟

لبناني□ فلسطيني □ سوري □ عراقي □ غير مذكور □ غير ذلك...

الطفل موضوع الخبر كان : كضحية □ كشاهد □ كموضوع □ كخلفية للخبر □

اوضح

ما هو نوع العمل الصحفي الذي ترافق مع الخبر الذي تناول الطفل؟

تقرير□.مقابلة□ اتصال هاتفي□.تغطية مع مراسل□ .نقل مباشر □ تحقيق □
ربورتاج □ اكثر من نوع □
اوضح

هل ترافق الخبر مع صور؟

نعم □ لا □

في حال نعم ، من تخص الصور ؟

اوضح

هل ظهر الطفل في الصورة بوضوح (صوت وصورة واسم ومنطقة وجنسية)

اوضح

هل تضمن الخبر موقفا معينا ؟

نعم □ لا □

في حال نعم ، تجاه من كان الموقف الذي حمله الخبر؟

الأهل □ المجتمع □ القوانين □ المدرسة □ المستشفى □ الحكومة □. المنظمات الدولية □ منظمات المجتمع المدني □ غير ذلك □
اوضح

تعليق الراصد/ة الاجمالي